المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

شعر عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي

The Poetry of Abdo Ismail al-Tahtawi in the Light of Environmental Criticism

✍ بقلم الدكتور

إسماعيل أحمد السيد إسماعيل

مدرس الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

العدد الأول

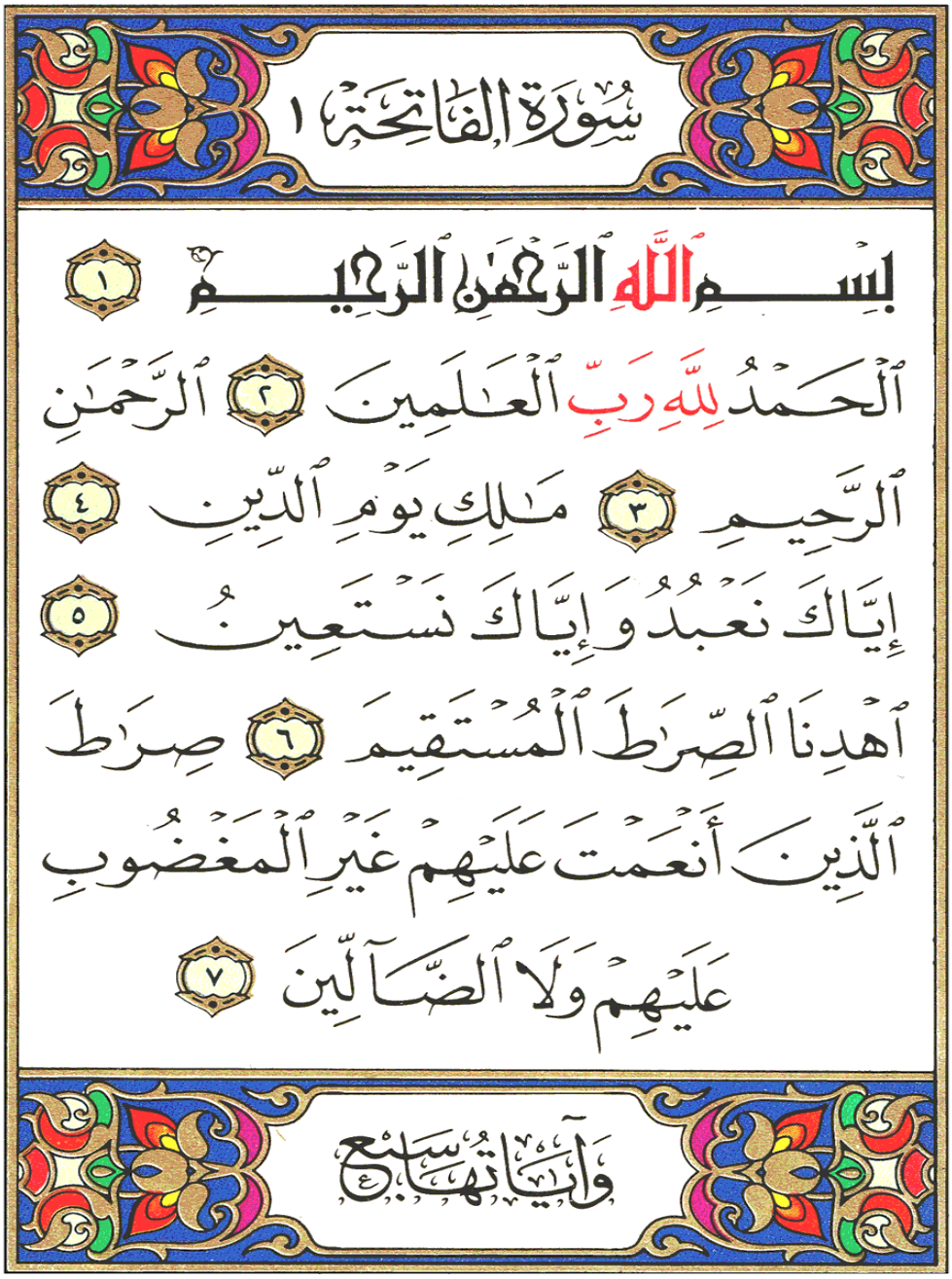
سُورَةُ الفَاتِحَةِ ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَٰنِ

الرَّحِيمِ ٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

شعر عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي

إسماعيل أحمد السيد إسماعيل

قسم الأدب والنقد - كلية اللغة العربية بجرجا - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : ISMAILAHMED.2040@AZHAR.EDU.EG

الملخص

يعد النقد الأدبي البيئي «الإيكولوجي» من أجناس النقد التي تُعنى بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية، وعلى الرغم من أنَّ ظهور مثل هذه الدراسات النقدية جاء متأخرًا بعض الشيء مقارنة بالدراسات اللغوية أو الأدبية، لكنه استطاع أن يشكل حركة تنوير عالمية أثْرَت المكتبة الأدبية والنقدية على حد سواء.

وهذا البحث يهدف إلى تأصيل النقد البيئي «الإيكولوجي» بغية استخدامه منهجًا نقديًا مستقلًا بذاته؛ ولذا سعيت ــ جاهدًاــ إلى البحث فى نشأته، وتحديد مفهومه؛ حتى يتسنى لي دراسة النقد البيئي فى الأعمال الأدبية والنقدية ــ أيضًا ــ، فتناولت فيه الحديث عن مفهوم النقد البيئي " الإيكولوجي" مع محاولة تحديد المصطلح، والنشأة، وحتى لا يبدو طرحي نظريًا فحسب، فقد عرَّجْتُ بتطبيق هذا المنهج النقدي على مجموعة من النصوص الشعرية الحديثة لأحد شعراء مصرنا الحبيبة وهو الشاعر "عبده إسماعيل الطهطاوي"، فقد وجدتُ أنَّ في أعماله الشعرية يتجلى الصدق الفني، والإحساس بالمكان، حيث إنَّ الإحساس بالمكان جزء من الوعي الأدبي والبيئي، لذلك فإنَّ أشعاره تصلح لتطبيق هذا المنهج النقدي الحديث.

الكلمات المفتاحية: شعر، عبده، إسماعيل، الطهطاوي، النقد، البيئي، الإيكولوجي.

The Poetry of Abdo Ismail al-Tahtawi in the Light of Environmental Criticism

Ismail Ahmed al-Sayed Ismail
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Girga, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: ISMAILAHMED.2040@AZHAR.EDU.EG

Abstract:

Environmental (ecological) literary criticism is a genre of criticism concerned with studying the relationship between literature and the physical environment. Although the emergence of such critical studies came somewhat later than linguistic or literary studies, it has succeeded in shaping a global enlightenment movement that has enriched both literary and critical libraries.

This research aims to establish the foundations of environmental (ecological) criticism with the aim of using it as an independent critical method. Therefore, I have endeavored to investigate its origins and define its concept. To enable me to study environmental criticism in literary and critical works, I addressed the concept of "ecological" environmental criticism, attempting to define the term and its origins. To prevent my proposal from appearing merely theoretical, I applied this critical approach to a collection of modern poetic texts by one of our beloved Egyptian poets, Abdo Ismail al-Tahtawi. I found that his poetic works embody artistic honesty and a sense of place, as the sense of place is an integral part of literary and environmental awareness. Therefore, his poems are suitable for applying this modern critical approach.

Keywords: poetry, Abdo, Ismail, al-Tahtawi, criticism, environmental, ecological.

ISSIAN CERTIFIED TRANSLATION
Accepted by the U.S. immigration
ترجمة معتمدة
TRANSLATION PROS

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، فنطق بأفصح لسان، والصلاة والسلام على خير الورى، وإمام الهدى، سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .....

فلقد عزمت – بفضل الله تبارك وتعالى – أَنْ أقوم بتسليط الضوء على أحد المفاهيم المعاصرة لدراسة النص الأدبي، وتطبيق هذا المنهج على نتاج شاعر من الشعراء المصريين المجيدين فى العصر الحديث، والذين لم ينالوا حظهم ونصيبهم من الشهرة كغيرهم من الشعراء، وهو الشاعر الدكتور / عبده إسماعيل الطهطاوي، ومِنْ ثَمَّ فقد طالعت ديوانه الشعري، ومن خلال هذه القراءة لإبداعه الشعري برز لي سعة ثقافته، واستقلال رؤيته، وبراعته الفنية، بالإضافة إلى اهتمامه بالطبيعة والبيئة المحيطة به، فقد ظهر تنوع الرؤى البيئية داخل شعره في صور متعددة، منها ما يشير إلى تطبيع الإنسان أو أنسنة الطبيعة، ومنها ما – يحذر من تدميرها وخرابها – ويدعو إلى المحافظة عليها والألفة معها، ومنها ما يرمز إلى الاندماج في مكوناتها، ومِنْ ثَمَّ جاءت هذه الدراسة بعنوان " شعر عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي " .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

يأتى هذا البحث محاولة نحو تأصيل النقد الأدبي البيئي "الإيكولوجي Alecology " من خلال سبر أغواره في الأدب المعاصر؛ ليتيح هذا البحث أمام القارئ رؤى نقدية جديدة ينهل منها، فتساعده في كشف العديد من مواطن المعاني الخفية التى تكمن في ثنايا الأعمال الأدبية .

وقد جاء اختياري لهذه الدراسة اهتمامًا مني بهذا المصطلح المعاصر، وتطبيقه على شعر شاعر من الشعراء المجيدين، والذى تميز نتاجه الشعري

بالانسجام البَيِّن والظاهر مع الطبيعة وكذلك تأثره بالبيئة المحيطة به، مما جعله شعرًا بيئيًا من الدرجة الأولى، ولا يقصد بشعر البيئة مجرد الوصف الخارجى أو الظاهري، بل إنما يُقصد به الإحساس بالبيئة لدى المبدع، وتفاعله معها بوصفها كائنًا حيًا، بحيث يعدو المبدع جزءًا من البيئة .

الدراسات السابقة :

لم أجد – فيما أعلم – دراسات حول الشاعر «عبده إسماعيل الطهطاوي» سوى دراستين اثنتين فقط هما :

١- شعر الدكتور عبده إسماعيل الطهطاوي «الرؤية والفن » رسالة ماجستير للباحث / محمد عبد الناصر محمد العنتيلى – كلية اللغة العربية بأسيوط – جامعه الأزهر الشريف عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م .

٢- التصوير البياني فى ديوان «شقائق النعمان » للشاعر/ عبده إسماعيل الطهطاوي – رسالة ماجستير للباحث / أحمد حسن أحمد غانم – كلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر الشريف عام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م .

وعلى الرغم من هاتين الدراستين حول نتاج الشاعر الدكتور / عبده إسماعيل الطهطاوي، إلا أننى لم أعثر –فيما اطلعت– على دراسة تقترب من دراستي حول النقد البيئى ؛ حيث إنَّ مثل هذه الدراسة تعد جديدة من نوعها، فلم يتطرق إليها أحد من الباحثين بالتطبيق على نتاج الشاعر الدكتور / عبده إسماعيل الطهطاوي – رحمه الله تعالى – .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة هذا البحث في عدم إعطاء تعريف محدد ودقيق للنقد البيئي بسبب جدة هذا المصطلح وحداثته في الدراسات النقدية .

يضاف إلى ذلك توضيح ملامح هذا المنهج النقدي الحديث، وتطبيقه على الأعمال الشعرية، وبيان أثر ذلك على الشاعر، والعمل الأدبي ذاته .

منهج البحث :

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الفني، والذى يجمع بين الأدب والنقد؛ ليساعد في الكشف عن مكنونات النص الشعري وفهم معانيه، ومن ناحية آخرى ليبرز أوجه الترابط بين الشعر والبيئة، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى وذلك عند الحاجة إليها، مثل المنهج النفسي، والمنهج التاريخي، وغيرهما من المناهج الأخرى .

الهدف من البحث :

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على المفاهيم المعاصرة لدراسة النص الأدبي، من خلال مصطلح «النقد البيئي أو الإيكولوجي» وتطبيق هذا المنهج على نموذج من الأدب المعاصر؛ لتكمل الفائدة من هذه الدراسة .

خطة البحث وحدوده : هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تقسم إلى :-

- **مقدمة** : وقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والهدف منه، والدراسات السابقة، والمنهج، وهيكل البحث .
- **التمهيد** : «**النقد البيئي والشاعر**» ويشتمل على محورين :

المحور الأول : النقد البيئي «المصطلح والنشأة» .

المحور الثانى : الشاعر/ الطهطاوي والبيئة، «إطلالة موجزة» .

- **المبحث الأول** : «**الرؤية الموضوعية عند عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي**» وفيه :-

١- الفرار إلى الطبيعة والألفة معها .

٢- أنسنة الطبيعة .

٣- تطبيع الإنسان .

٤- تدمير البيئة .

- **المبحث الثاني** : «**التشكيل الفني عند عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي**» وفيه:

١- المعجم الشعري والنقد البيئي .

٢- الصورة الشعرية والنقد البيئي .

٣- الموسيقا والنقد البيئي .

- **الخاتمة** : وفيها أهم النتائج التى تم التوصل إليها .

فهرس المصادر والمراجع .

التمهيد

«النقد البيئي والشاعر»

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة ثقافية أدبية جديدة بشقيها «التأصيل، والتطبيق» كما ترمي الدراسة –كذلك– إلى تقديم قراءة أدبية معاصرة، بكونها وثيقة جمالية، فالشعر كان ولا يزال ديوان العرب، وسجل تاريخيهم، يتخذه الشعراء وسيلة للتعبير عن مكونات مشاعرهم، فإذا أمْعَنَّا النظر ودققنا في تاريخ الأدب – عامة– والشعر خاصة– نجد أَنَّ هناك أهمية كبرى للشعر باختلاف الوقت والمكان.

وتستند المقاربة في النقد البيئي على الفكر المتعلق بالبيئة –بصفة عامة– النابع من علم «البيئة أو الإيكولوجيا» والذى يهتم في المقام الأول بدراسة الروابط، والعلاقات القائمة بين الكائنات، وليس الفروق بينها، ضمن منظومتها البيئية الخاصة، ومن بين هذه الكائنات «الإنسان» والذي تتم دراسة وصفه في محيطه، من أجل اكتشاف أسباب الأزمات الحاصلة على مستوى البيئة البشرية، والبيئة الطبيعية –خاصة–، ذلك أَنَّ «الإيكولوجيا» في اهتمامها بدراسة العلاقات، تتناولها ضمن مستويات ثلاثة هى المستوى المادي «العناصر المادية في الطبيعة» والمستوى الحي «الكائنات الحية» ومستوى «الإنسان»؛ لأَنَّ مهمتها النظر في نوع العلاقات القائمة بين مكنونات كل مستوى، ثم بين مستوى وآخر؛ لأَنَّ علاقة كل كائن بكائن، أو بمظهر، يكون لها تأثيرها الخاص على بقية الكائنات والمستويات، كما تسعى «الإيكولوجيا» من الناحية المعرفية إلى دراسة جملة من المسائل المتعلقة بالأوساط، والبيئات التي تعيش فيها الكائنات وتتكاثر، وبالعلاقات والصلات التفاعلية الناشئة ما بين تلك الكائنات ومحطيها[١] .

---

(١) ينظر: مفهوم الطبيعة في الفكر الإيكولوجي المعاصر، رشيد دحدوح، مجلة فكر ونقد، العدد ٩٤، ص١٥، المغرب، يناير عام ٢٠٠٨م .

كما عُدَّت الدراسة البيئية «الإيكولوجية» حديثًا فرعًا من فروع الدراسات الثقافية التى تداخلت في جميع المجالات الإنسانية، ولم يقتصر دورها على الدراسة العلمية للأرض وما عليها –فحسب– بل امتد إلى دراسات عديدة في اللغة، والأدب والنقد، وقد برزت هذه الدراسات في سبعينات القرن الماضي، ولكنها لم تظهر في صورة نظرية متكاملة إلا في نهاية و أواخر القرن العشرين، وذلك بعد أن توسعت التيارات المعرفية والثقافية، وظهرت الفلسفات الكونية المتكاملة .

وليس كل عمل أدبي يمكن أَنْ يوصف بأنَّه «أدب بيئي» ؛ لأَنَّ الأدب البيئي أو الإيكولوجي» أدب خاص لابد أن تتوافر فيه بعض السمات والخصائص التى لا توجد في غيره من النصوص، منها أنْ يحاور الأديب هذه الطبيعة داخل النص، فيتفاعل معها ويشعر بها، وأن يَحْمِلَ في نفسه همًّا بيئيًا يجعله يشارك في نشر الوعي البيئي، والدعوة للمحافظة على البيئة وعدم الإضرار بها، وأن يعتنق فكرة الاندماج مع البيئة والطبيعة داخل النص، ثم يجيد التفكير عن هذه الأفكار بأدوات فنية متقنة، وهو ما نراه قد تحقق في النتاج الشعرى عند عبده إسماعيل الطهطاوي.

وفي ثنايا السطور القادمة من هذا التمهيد سوف نتناول بالشرح والتحليل مفهوم مصطلح «النقد البيئي» ونشأته، ثم ننتقل إلى إطلالة موجزة حول الشاعر – محل الدراسة– وبيئته في ضوء النقد البيئي.

المحور الأول

النقد البيئي «المصطلح، والنشأة»

النقد البيئي «الإيكولوجي Alecology» :

ظهر مصطلح «النقد البيئي – الإيكولوجي» حديثًا في الأدبيات الأوربية وكذلك الأمريكية في الآونة الأخيرة، لذا سأقوم بإلقاء الضوء على هذا المصطلح كاتجاه نقدي من تبعات ما بعد الحداثة، وقد وجدت شذرات لهذا المفهوم في تراثنا النقدي الأدبي، ولكن لم يجد من ينظر لهذا المفهوم ويُلقي الضوء عليه في مناهجنا النقدية، ولذا فإننا لم نجد مصطلح النقد البيئي في تراثنا النقدي بشكل صريح، لذا فهو جديد من حيث الاصطلاح، لكنه مطبق لدى عدد من نقادنا تطبيقًا تشوبه عمومية الرؤى –أحيانًا– ويختلط مع مناهج نقدية أخرى في أحايين كثيرة(١) .

وتعد الدراسة البيئية «الإيكولوجية» فرعًا من فروع الدراسات الثقافية، بل وامتدت إلى الدراسات الأدبية والنقدية، للكشف عن موقف الإنسان تجاه ظواهر البيئية وأثر هذه البيئة في نتاجه، وبعد اتساع التيارات المعرفية ظهرت هذه الدراسة كنظرية متكاملة مستقلة .

ولقد استقر التعريف الأكاديمي «للنقد البيئي» باعتباره العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الكائن الحي وبيئته، فإنَّ مصطلح «النقد البيئي» أو «الإيكولوجى» له اشتقاق لغوي يعود إلى الأصل اليوناني وهو (Oikos)، الذى يعني منزلًا أو مكانًا نعيش فيه، في حين يتضمن مصطلح (Logic) العلم، وبذلك يكون مصطلح «النقد البيئى– أو الإيكولوجي» هو علم يدرس البيئة بكل تأثيراتها في الكائن الحي .

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية المعاصرة، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران، ص١٩٣، منشور في مجلة المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي عام ٢٠١٥م .

فالبيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويستمد منه مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر، ومن خلال هذا التعريف الشامل للبيئة يتبين لنا أَنَّ البيئة ليست مجرد موارد يستخدمها الإنسان كمقومات للحياة، وإنما تشمل – أيضًا – علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالبيئة نفسها(١).

ولعل الكثيرين منا يقفون مواقف مترددة، وأحياناً محرجة أمام استفسارات أبنائهم الصغار عن معاني الكثير من الألفاظ التي نستعملها ببساطة وبداهة ولا نجد ضرورة لإجهاد أنفسنا في وضع تعريف لها، وإذا دققنا النظر في أي مصطلح سنجد له تعريفات متعددة ومتباينة، وفي أغلب الأحيان كلها صحيحة ومرجع ذلك هو اختلاف الزاوية التي يَنْظُرُ من خلالها كل شخص إلى هذا المصطلح، لذا وجب علينا التوفيق بين التعريفات المتباينة والوصول إلى تعريف شامل لهذا المصطلح، وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة من خلال الجانب النظري والتطبيقي – معًا – وعلى حد سواء.

وفي الأعوام الأخيرة بدأ الاهتمام النقدي بالمقاربات الإيكولوجية للأدب؛ والانتظام تحت راية النقد الإيكولوجي الذي يأخذ موضوعات لها ترابطات بين الثقافة الإنسانية والعالم المادي، والنقد الأدبي الإيكولوجي هو ذلك الفرع من النقد الإيكولوجي الذي يركز على نحو خاص على العناصر الثقافية، اللغة والأدب وعلاقتهما بالبيئة؛ فهو موقف نقدي يضع إحدى قدميه في الأدب والأخرى على الأرض(٢).

---

(١) ينظر: البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني ، ص ٢٤ – ٢٥ ، عالم المعرفة، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، أكتوبر عام ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: النقد الإيكولوجي، الدكتور/ مايكل برانش، ترجمة معين رومية، ص ٤٤ عدد ٣٦ ، النادي الأدبي الثقافي – جدة، عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

ولقد رحب كثير من الباحثين والنقاد بإدخال الإيكولوجية إلى الدراسات الأدبية، حيث أولى النقد الإيكولوجي انتباهًا متزايدًا للتمثيلات الأدبية للطبيعة.

كما أَنَّ النقد الأدبي البيئي يمتد ليحلل الجوانب الثقافية والأدبية المؤثرة في رؤية الكاتب، ويهتم بالكشف عن الوظيفة البيئية المتوارية خلف الصفة الجمالية، ويُعنى بالتفتيش عن سبب حضور البيئة في النص الأدبي، ومكونات الطبيعة المعبر بها في الصور البلاغية، وما ينطوي عليه العمل من قيم إيكولوجية، بالإضافة إلى الكشف عن وجهات النظر الخاصة بالبيئة داخل النص، وتعالق النص تناصيًا(١).

مما سبق يتضح لنا جليًا أَنَّ النقد الأدبي البيئي «الإيكولوجي» يُعنى بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية، وعلى الرغم من أَنَّ ظهور الدراسات النقدية الإيكولوجية جاء متأخرًا مقارنة بالدراسات اللغوية أو الأدبية البيئية، لكنه استطاع أن يشكل حركة تنوير عالمية أَثْرَتْ المكتبة الأدبية والنقدية.

حيث يسعى هذا النوع من النقد إلى توظيف مصطلحات ذات علاقة بالبيئة والطبيعة، وبيان أثر هذه المصطلحات على الأديب، وعمله الأدبي.

(١) ينظر : النقد الأدبي البيئي: النظرية والتطبيق، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران، ص ٦٦، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ط١ عام ٢٠١٠م.

المحور الثاني

الشاعر/ الطهطاوي، والبيئة «إطلالة موجزة»

اسمه ونسبه :

هو «عبده إسماعيل عبد الله الطهطاوي» ينتمي لعائلة طيبة، وعريقة يغلب عليها الطابع العلمي، فقد ورثوا العلم عن آبائهم وأجدادهم من أسرة محبة للعلم، ولرجاله، كان والده يحب رجال العلم ويعمل على راحتهم، وتُعرف عائلته في مدينة «جرجا» باسم «عائلة الطهطاوي» كما يُعد خاله من أشهر أطباء مصر وهو الدكتور/ النبوي المهندس ، وزير الصحة في عهد الرئيس الراحل/ جمال عبد الناصر، ومن تلك الأسرة العلمية الطيبة – أيضًا – أخو الشاعر المستشار/ محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، وله كتب رائدة في مجال الأديان والعقائد منها[١] : «الميزان في مقارنة الأديان، حقائق ووثائق»، و«النصرانية في الميزان» و«في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين» و«محمد (ﷺ) نبي الإسلام» و«في مقارنة الأديان – النصرانية والإسلام» و«التبشير والاستشراق أحقاد وحملات»[٢] .

مولده ونشأته:

ولد الشاعر / عبده إسماعيل عبد الله الطهطاوي بمدينة «جرجا»[٣] جنوب صعيد مصر، في الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٢١م، ١٣٤٠هـ حين كانت

---

(١) انظر: مجلة الأزهر، العدد السادس، ص٩٠٥ ، شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ / شهر مارس ١٩٨٥م، مقال للأستاذ/ السيد حسن قرون، بعنوان «الشاعر عبده إسماعيل الطهطاوي، ومواقف نقاد الأدب منه».

(٢) انظر: شعر الدكتور/ عبده إسماعيل الطهطاوي «الرؤية والفن» ص ١٩، رسالة ماجستير للباحث / محمد عبد الناصر محمد العنتبلي – كلية اللغه العربية بأسيوط – جامعه الأزهر الشريف عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م .

(٣) جرجا: مدينة في جنوب محافظة سوهاج ، شمال مركز البلينا – جمهورية مصر العربية – راجع: الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، لمحمد بن حامد المراغي تحقيق ودراسة د/ أحمد حسين النمكي ٦٦/١ – ٩٧ ، مكتبة الدبَّاح بجرجا، عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.

مصر في مسيرة ثورة ١٩١٩م، تتطلع إلى مكانتها المرتقبة بين الدول الحرة، مطالبة بالجلاء.

ثم رحل إلى القاهرة، وقضى حياته، داخل مصر، بمحافظة الجيزة[١] ، وتحديدًا في منطقة الأهرامات، وقد صرَّح بذلك في شعره، حيث يقول[٢] : «من الطويل»:

ويا مَنزِلي بالسَّفح في جِيزَةِ الهَوَى ∴ سُقِيتَ بِمِسكٍّ الغُلالة هَطَّال[٣]

مكانته الأدبية والعلمية:

كان للدكتور / عبده إسماعيل الطهطاوي مكانة علمية وأدبية متميزة عند النقاد وأهل الأدب، فقد وضعوه في مكانة تدل على ميزته وارتفاع قدره، فهو «أديب قصصي مسرحي»[٤] ، وهو من أعلام الأدب العربي المقارن، وممن ساهموا في نهضة وتطوير أدب المسرح، بفضل قصصه المؤلف منها والمترجم، كما يُذكر له اطلاعه الواسع في مجال الإسلاميات، ومقالاته عن تفسير القرآن الكريم في مصر، وكذلك تحقيقه عن الأبطال الفاتحين مثل «نور الدين محمود ٥١١هـ – ٥٧٩هـ» إضافة إلى موهبته الشعرية، والتي ظهرت جلية من خلال نتاجه الشعري.

---

(١) الجيزة : تقع الجيزة في شمال مصر، وهي تلاصق القاهرة عاصمة مصر. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله الحميري – تحقيق إحسان عباس ص ١٨٣، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، لبنان، ط٢ عام ١٩٨٠م.

(٢) ديوان شقائق النعمان للشاعر/ عبده إسماعيل الطهطاوي ص ١٣٦، مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٥٠م.

(٣) هطَّال: تتابع المطر المتفرق العظيم القطر، وقيل هو: المطر الدائم مع سكون وضعف– المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ٢٤٨/٤ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١ عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، والسفح يقصد به هنا سفح الهرم .

(٤) معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، باب العين ١٨١/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، عام ١٤٢٤ه– ٢٠٠٣م/ والأعلام، لخير الدين الزركلي، ١٧١/٤، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، عام ٢٠٠٢م .

مؤلفاته الأدبية والعلمية :

١- من ترجماته «من روائع أوسكار وايلد» القاهرة عام ١٩٤٩م، مكتبة الخانجي بالقاهرة والمثنى ببغداد، وهو أول كتاب ترجمه الطهطاوي حيث يقول في مقدمته: «وأنا إذ أقدم هذه الروائع على أنها أول كتاب مترجم لي، أتمنى أن أكون قد وفقت إلى ما أخذت نفسي به ووطئت عليه العزم»[١] .

٢- ديوان «شقائق النعمان» مطبوع عام ١٩٥٠م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٣- «قصص من الشرق والغرب»، القاهرة ١٩٥٤م، مكتبة الخانجي بالقاهرة والمثنى ببغداد.

٤- مقال عن « تفسير القرآن الكريم في مصر» نشر في مجلة دعوة الحق[٢] في يناير عام ١٩٧٠م، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، ص ٥٥ : ٦٢.

٥- تحقيقه عن «الكواكب الدرية في السيرة النبوية»[٣] للشيخ / بدر الدين بن قاضي شهبة المتوفَّى عام ٨٧٤هـ، حول سيرة القائد البطل «نور الدين محمود» ٥١١هـ – ٥٧٩هـ » قاهر الصليبيين والذائد عن حمى الإسلام ومقدساته، ولم ينشر في كتاب، ولكن نشرت منه مقتطفات في مجلة دعوة الحق في أعداد متفرقة.

---

(١) من روائع أوسكار وايلد للدكتور/ عبده إسماعيل الطهطاوي ص ١٠ ، مكتبة الخانجي بالقاهر، والمثنى ببغداد ، عام ١٩٤٩م.

(٢) مجلة دعوة الحق: هي مجلة مغربية تصدرها شهريًا وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية، أسسها الملك محمد الخامس – رحمه الله تعالى – عام ١٩٥٧م، وصدر عددها الأول في عام ١٣٧٦هـ يوليو عام ١٩٥٧م، وتهتم بالدراسات الإسلامية ، وبالتاريخ، وبشئون الثقافة والفكر.

(٣) مجلة دعوة الحق المغربية، العدد السابع ص ١٦١، السنة الثالثة عشرة، شهر ربيع الآخر، عام ١٣٩٠هـ / يونيو ١٩٧٠م.

عوامل شاعريته :

لا يولد الشاعر أو المبدع عمومًا مبدعًا، ولكن يُولَدُ وبداخله ملكة واستعداد فطري يساعده على تصوير ما يريده، وهذه الملكة هي المكون الرئيس لشخصية المبدع، وتمثل العنصر الذاتي أو الذوقي للمبدع، وتشكل مع العنصر الموضوعي الشخصية المبدعة في عمومها، والعنصر الأخير – الموضوعي – يتكون من مجموع الصفات والخصائص الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية التي يحيا في ظلالها الشاعر أو المبدع، وعبده إسماعيل الطهطاوي كغيره من الشعراء الذين عاشوا حياتهم في ظلال بيئية وثقافية معينة خضعت لمؤثرات عديدة من أهمها:

المؤثرات البيئية :

فلا شك أَنَّ في مجموع العوامل المكانية والاجتماعية المحيطة بالأديب، تأثيرًا كبيرًا في حياته، وفكره، وعاطفته، وبالتالي فيما يصدر عنه من أدب، لا سيما الشعر – على وجه الخصوص – فهو من أشد الأجناس الأدبية تأثرًا بالبيئة؛ ولأَنَّ البيئة الأدبية لأي شاعر ليست هي المكان المحيط الذي يوجد به فقط، أي لأنها لا تقتصر على بيئته الجغرافية، إنما تتعدى حدود الزمان والمكان فتتصل بالوطن العربي كله فضلاً عن أدب التراث؛ لذلك تأثر الطهطاوي بالبيئة المصرية والعربية على حد سواء؛ حيث إِنَّ التيارات الأدبية في أي بيئة متداخلة، وليست محدودة بحدود مكانية أو زمانية.

ولأَنَّ الشاعر ابن البيئة التي يعيش فيها، ومن شأن هذه البيئة أن تؤثر فيه، وتطبعه بطابعها، وتوجه جهوده ومذاهبه، وتصقل موهبته؛ فالموهبة وحدها لا يمكن أَنْ تبدع أدبًا له قيمة، فإن الإبداع لا يكون إلا نتاج تفاعل بين الفرد والبيئة، ولا شك أَنَّ للبيئة الدور الأكبر في تشكيل شخصية الإنسان، وسلوكه وتعامله مع باقي المخلوقات المحيطة به، فكل إنسان يؤثر ويتأثر ببيئته على حسب ما تحتويه هذه البيئة من عناصر وأدوات، وكل بيئة تحتوي على أدوات وألفاظ تختلف عن البيئة الأخرى، ولعلنا نلمس ذلك في أن الشاعر البدوي يحاكي بقصائده ما يتأثر به في

بيئته ويتفاعل معه من صحراء، وسماء، وتلال، وجبال، وأغنام، وخيام، وغيرها من الأدوات، كذلك نجد الشاعر الساحلي يتطرق لما يتفاعل معه من بحر، وأسماك، ولؤلؤ، وشطآن .... إلخ، وأيضًا الشاعر القروي، والمدني، فكل بيئة لها أثرها الواضح على الشاعر الذي يعيش فيها.

لذلك لا يُعدُّ من الغريب أن تؤثر البيئة المكانية والاجتماعية، والعصر في الشاعر/ عبد إسماعيل الطهطاوي، فالبيئة وطن المرء الذي يولد فيه، وينتسب إليه ويتدرج في ربوعه، وللبيئة عناصر كثيرة تؤثر في الشاعر، منها عناصر مرتبطة بالمظاهر الحضارية، والسياسية، وأخرى مرتبطة بالمظاهر الطبيعية، وحب الشاعر للطبيعة وتفاعله معها...إلخ.

استدراك وتنبيه :

ذكر معجم البابطين في الصفحة الخاصة بالدكتور/ عبده إسماعيل الطهطاوي أن له ديوانين هما «شقائق النعمان» الذي طبع بالقاهرة عام ١٩٥٠م، والآخر «أغاني الهوى» الذي طبع بالقاهرة عام ١٩٥٦م[١] .

وقد قمت بالبحث عن هذا الديوان «أغاني الهوى» في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة والهيئة العامة للكتاب، والهيئة العامة لقصور الثقافة، ومكتبة كلية الآداب بجامعة القاهرة والتي يوجد بها الديوان الأول «شقائق النعمان» ورسالة الدكتوراه الخاصة بالطهطاوي والتي تحمل اسم «اللغة العربية في مصر منذ الفتح العربي حتى أواخر القرن السادس الهجري»، ثم بحثت في باقي مكتبات جامعة القاهرة، فلم أعثر على شيء يثبت صحة هذه المعلومة التي وردت في معجم البابطين...كما توجهتُ إلى أقارب الشاعر، وبسؤالهم عن هذا الأمر أثبتوا لي أن للطهطاوي ديوانًا شعريًا واحدًا فقط هو «شقائق النعمان» فلم أتوقف عن البحث

(١) انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر، والعشرين ص ٤٤٩٤، إعداد هيئة المعجم في المؤسسة، حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ط١ عام ٢٠٠٨م.

حتى أتيقَنَّ من صحة هذه المعلومة، أو عدم صحتها، وأكون قد طرقت كل السبل، ثم التواصل مع «مؤسسة البابطين للإبداع الشعري» فكان الرد بوجود ديوان واحد فقط هو «شقائق النعمان» أما الديوان الثاني «أغاني الهوى» فهو غير موجود ... وبذلك أكون تثبت بقدر ما أتيح لي من إمكانات من عدم صحة هذه المعلومة[١] .

وفاته:

توفي بالقاهرة «شابًا»[٢] بعد عمر حافل بالنشاط والأمل والرضى، وبعد أَنْ نقش اسمه على حائط الخلود الأدبي لبى نداء ربه في سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، عن عمر ناهز ٤٩ عامًا تقريبًا فاجعًا قلوب ذويه ومحبيه إثر نكسة صحية[٣] لم تمهل زهرة شبابه أيامًا، فها هو صديقه الأستاذ / السيد حسن قرون يقول: «ولو طال به الأجل لكان أستاذًا بكلية الآداب، ولكن وافته المنية سنة ١٩٧٠م، فحرمت الجامعة والمدارس علمه وأدبه»[٤] – رحمه الله تعالى – رحمة واسعة وغفر له، وأسكنه فسيح جناته .

---

(١) راجع: شعر الدكتور/ عبد إسماعيل الطهطاوي – الرؤية والفن، ص ٢٣ – ٢٤.

(٢) معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سليمان الجبوري ١٨١/٤، و الأعلام لخير الدين الزركلي ١٧١/٤.

(٣) مجلة دعوة الحق المغربية العدد السابع ص ١٧١، السنة الثالثة عشرة، شهر ربيع الآخر ١٣٩٠هـ / يونيو عام ١٩٧٠م.

(٤) مجلة الأزهر، العدد السادس، ص ٩٠٥، شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ / مارس ١٩٨٥م.

✍ المبحث الأول

الرؤية الموضوعية عند الطهطاوي في ضوء النقد البيئي

يأتي هذا البحث محاولة نحو تأصيل النقد الأدبي البيئي (الإيكولوجي Alecology) من خلال سبر أغواره في الأدب المعاصر؛ لكي يتيح للقارئ رؤى نقدية جديدة ينهل منها، فتساعده في كشف العديد من بواطن المعاني التي تكمن في ثنايا الأعمال الأدبية .

في الصفحات القادمة – إن شاء الله تعالى – سوف أقوم بتسليط الضوء على العلاقة بين البيئة والنص الشعري، وحضورها بصورة كبيرة ومتنوعة داخل أعمال الشاعر/ عبده إسماعيل الطهطاوي، فمنها ما جاء في صورة فِرار إلى الطبيعة والأُلْفة معها، ومنها ما جاء في صورة أنسنة للطبيعة وتصويرها في صورة إنسان، أو تطبيع الإنسان واندماجه مع الطبيعة، ومنها ما جاء مصورًا لما لحق الطبيعة من دمار وخراب، إثر ويلات الحروب أو الحرائق، أو غيرها من الكوارث التي أدت إلى تدمير الطبيعة، في محاولة لتأصيل النقد الأدبي الإيكولوجي وتطبيقه على شعره.

أولاً : الفِرار إلى الطبيعة والأُلْفة معها :

إنَّ الفِرار إلى الطبيعة والأُلْفة والانسجام معها، والتغني بجمالها هو ديدن الشعراء منذ قديم الأزل، حيث نشأت بين الطبيعة والشعراء والمبدعين والفلاسفة أُلْفة ظلوا يلجأون إليها، لتغذية وجدانهم وقرائحهم، وتعميق أفكارهم، وتوسيع رؤاهم، وعلى الرغم من قسوتها ووحشتها في كثير من الأماكن والأزمان، إلا أَنَّ الشعراء فروا إليها، وليس هناك مثال أدل على ذلك من العلاقة التي بين الشعراء والطبيعة من تلك العلاقة التي نشأت بين الشعراء الصعاليك والصحراء، فقد أصبحت بالنسبة لهم هي الأم والأخت والحبيبة، والموحية لهم بأعذب الأفكار، والملجأ والملاذ عند الخوف والفزع، فلم يكن هذا الفِرار إلى الطبيعة والأُلْفة معها، بِمُسْتَغْرَبٍ في قصائدهم الشعرية .

ومن المعلوم أن للطبيعة سحرًا وجاذبية أخذت على مر الدهور والعصور تعطي لأهل الموهبة ينبوعًا ينهلون منه، وكذلك جمال الطبيعة، وهو من أروع أنواع الجمال، فقد استحوذت الطبيعة في شعر عبد إسماعيل الطهطاوي على اهتمام كبير جدًا، فراح يصورها بصور بديعة زاهية وذلك في كثير من قصائده العذبة الشجية الرنانة.

ومن هذه الصور التي ذكرها الشاعر، حين يمر بجوار «حديقة الأندلس الأثرية»(١) والتي تقع على ضفاف نهر النيل العظيم في أرض الجزيرة الفيحاء، حيث يقضي فيها أجمل أمسياته، فيصورها وهي تبتسم بأنهارها، وأشجارها، وأنوارها، وزائريها، وكل ما فيها من جمال فينشد قائلاً (٢) : «من الكامل» :

إنْ جُزْتَ قَصْرَ النِّيلِ ذَا الأَشْجَانِ ∴ فَقِفِ المَطِيَّ (٣) بِجَنَّةِ الغِزْلانِ

فَالزَّهْرُ حَوْلَكَ بِالعَبِيرِ تَبَسَّمَتْ ∴ شَفَتَاهُ تَحْتَ خَمَائِلِ المُجَّانِ

وَالنَّرْجِسُ(٤) الحُلْوُ الجمِيلُ تَخَضَّلَتْ ∴ وَجَنَاتُهُ مِنْ حَسْرَةِ الوَلْهَانِ

---

(١) حديقة الأندلس: هي حديقة تقع في القاهرة في موقع مميز حيث تطل على النيل من الشرق وعلى أول شارع الجزيرة من الغرب ومن الشمال على إستوديو الجيب، أما من الجنوب تطل على ميدان الأوبرا الجديدة، وأول كوبري قصر النيل، أنشأ هذه الحديقة محمد بك ذو الفقار عام ١٩٣٦م، في أواخر حكم الملك فؤاد الأول، وهي مقامة على مساحة فدانين، وتنقسم الحديقة إلى ثلاث حدائق ، حديقة الفردوس وهي على الطراز الإسلامي، والثانية الحديقة الأندلسية وهي على الطراز الأندلسي، والثالثة الحديقة الفرعونية وهي على الطراز الفرعوني على شكل معبد الكرنك . سلسلة القاهرة عاصمة الحضارة والتاريخ، كتاب حدائق القاهرة خضرة ممتدة، ص ٨ التأليف والنشر لديوان عام محافظة القاهرة، ط١ عام ٢٠٠٨م.

(٢) ديوان شقائق النعمان ص ٤٩ .

(٣) المَطِيُّ: الرَّوَاحِلُ واحدتها " مَطِيَّة بالهاء لأنها يركب مطاها، أي ظهرها. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لابن سعيد الحميري ٦٣٢٦/٩، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، و دار الفكر دمشق، سوريا، ط١، عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٤) النَّرجِسُ: نوع من نبت الرياحين وهو من الفصيلة النرجسية، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها، وطيب رائحته. المعجم الوسيط ، تأليف مجمع اللغة العربية ٩١٢/٢ ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

وَالوَرْدُ مِنْ آهَـاتِ رَبَّـاتِ الحِجَـا ... لِ[1] بَدَا كَثَغْرِ الغَـادَةِ المِفْتَـانِ
والْجُلَّنارُ[2] جُرُوحُـهُ قَـدْ أَكْثَـرَتْ ... نَزْفَ الدِّمَاءِ وَأَلْهَبَتْ وِجْـدَانِي
وَبَرَاعِمُ الخَطَرِ[3] الصَّـغِيرِ حَزِينَـةٌ ... كَفُؤَادِ شَاكٍ فَـاضَ بالأَشْـجَانِ
وَيَقَائِقُ النِّسْـرِينِ صُـبْحٌ مُشْـرِقٌ ... بَسَمَتْ فَبَدَّدَ حُسْـنُهَا أَحْزَانِـي

ففي الأبيات السابقة يصور لنا الطهطاوي مشهد الأزهار المتعددة المتنوعة الأشكال والألوان، وهي تداعب المارة وتبتسم لهم، فمن شدة جمال هذا المنظر تبددت هموم الشاعر وأحزانه، ثم يستطرد في تصويره لهذا المنظر البهيج، حين تسطع الشمس على الحديقة فتنسج خيوطها الذهبية، وتحيطها الأزهار وكأنها نجوم أشرقت فأضاءت الكون وأضفت عليه البهجة والفرحة والسرور.

ثم يتحول بنا الشاعر الطهطاوي إلى تصوير مشهد آخر من هذه الحديقة الغَنَّاءِ الجميلة الوارفة الظِّلال والتي زينها الربيع بتيجان فاتنة، وَشَدَتْ وغَرَّدت الطُّيور على أفنانها، فامتلأت الحديقة بالزائرين صباحًا ومساءً يطربهم عذب ألحانها وتتمايل من تغريدها رءوس النساء، ويصفق الحاضرون من سِحْرِ هذه الأوتار الرنَّانة، كما صور لنا أشجارها العظيمة والكثيفة الأوراق وهي مزينة بالآلئ وهي مضيئة ، فها هو يرسم لنا هذه اللوحة البديعة فينشد قائلاً [4]: «من الكامل» :

---

(١) رَبَّاتُ الحِجَالِ: النساء، معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر ٤٤٩/١، عالم الكتب ، ط١ عام ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

(٢) الجُلَّنَارُ : زَهْرُ الرُّمَّان، تاج العروس للزبيدي، تحقيق د/ عبد الصبور شاهين وآخرين ٤٥٦/١٠، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١ عام ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

(٣) الخَطَرُ: نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود . تهذيب اللغة لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق محمد عوض مرعب ١٩٢/٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، عام ٢٠٠١م.

(٤) ديوان شقائق النعمان ص ٥١ .

آذَارُ[١] كَلَّلَهَا بِغَارٍ[٢] مَفَاتِنٍ ∴ عُلْوِيَّةِ الأَشْكَالِ والأَلْوَانِ
غَرِدُ الطُّيُورِ بِهَا عَلَى أَفْنَانِهَا ∴ أَلْحَانُهُ سَحَرَتْ بَنِي الإِنْسَانِ
فَتَفَرَّقُوا فِيهَا عِشَاءً أَوْضُحًا ∴ كَالمُتَّقِينَ بِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
جَعَلُوا الغَبُوقَ[٣] شَرَابَهُمْ فَبَدَوا بِهِ ∴ نَشْوَى بِرُفْقَةِ مَاجِنٍ نَشْوَانِ
يُطْرِبْهُمُ شَادٍ وَمِنْ أَوْتَارِهِ ∴ سِحْرٌ يَسِيلُ بِرُقْيَةِ الجِنَّانِ
وَتَرَى القَلَانِسَ[٤] فَوْقَ كُلِّ جَمِيلَةٍ ∴ رَقَصَتْ لِرَقْصَةِ خَافِقِ المِفْتَانِ
وَالشَّارِبِينَ يُصَفِّقُونَ عَلَى تَجَا ∴ وُبِ أَعْذَبِ الأَقْدَاحِ وَالأَلْحَانِ
وَيَنَائِعُ الأَيْكِ[٥] الطَّوِيلِ تَزَيَّنَتْ ∴ بِلآلِئٍ ضَاءَتْ عَلَى الأَفْنَانِ

فقد صور لنا في الأبيات السابقة مشهد تفرق الزائرين في حديقة الأندلس العتيقة، ومدى سعادتهم بها، ويقارن هذه السعادة بمشهد المتقين الذين أكرمهم الله – تعالى– بدخول الجنة، وسعادتهم بها، مستحضرًا في ذهنه قول الحق تبارك وتعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}[٦] – ومن وجهة نظري – أن هذه المقارنة غير مناسبة فشتان بين الصنفين «زوار الحديقة وأهل الجنة».

---

(١) آذَارُ : الشهر الثالث من شهور السنة الشمسية يأتي بعد شباط، ويليه نيسان، ويقابله مارس من شهور السنة الميلادية، وهو نهاية فصل الشتاء وبداية الربيع. معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار ٥٠/١ .

(٢) الغَارُ : شجر دائم الخضرة ينمو في حوض البحر الأبيض المتوسط يصلح للتزيين، أزهاره صغيرة وثماره زيتونية الشكل والحجم، زرقاء اللون يستخرج منها زيت فاخر الصنف يدخل في صناعة الطيوب. معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار ١٦٤٩/٢ .

(٣) الغَبُوقُ: شرب العشي. لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري ٢٨٢/١٠ دار صادر، بيروت ، لبنان ط٢ عام ١٤١٤هـ .

(٤) القَلَنْسُوَةُ: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال والجمع قَلَانِس. المعجم الوسيط ٧٥٤/٢ .

(٥) يَنَائِعُ: يقال: أينعت الثمرة: إذا نضجت ، فهي مونعة ، والمعنى هنا: الشجر الكثيف الناضج. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لابن سعيد الحميري ٧٣٨٤/١١.

(٦) سورة القمر الآية (٥٤) .

فالشعراء – عادة ما يخاطبون الأشجار والأنهار والنجوم، والسماء، وأمواج البحر، وغيرها من مظاهر الطبيعة، فهم يناظرون بين الطبيعة وحالاتهم النفسية ويرون في الأشياء أشخاصًا تفكر وتُآسِي، وتشاركهم عواطفهم ، وهو ما يجعلهم يفرون إلى الطبيعة، ليخلطوا مشاعرهم وأفكارهم مع صورها ومناظرها الخلابة بحيث لا يقف هذا التشابه عند حدود المظهر الحسي فحسب، بل يتجاوزه إلى حد الأُلْفَة، وهنا تصبح الفكرة الشعرية طبيعة، والطبيعة مضمون شعري(١).

فقد كانت نظرة النقد قديمًا قاصرة على دراسة البيئة فقط أو المجتمع فقط، كل جزء منهما منفصل عن الآخر، لذا فإن دراسة العلاقة بينهما تحتاج إلى إمعان وتدقيق، فدراسة البيئة جزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن دراسة الشعر، وهنا تكمن أهمية دراسة البيئة في الشعر من حيث طبيعة العلاقة التكاملية الرابطة بينهما ورؤية الشاعر الإبداعية تعمد –دائمًا– إلى تجسيد العلاقة بين الإنسان والبيئة، ومن تلك الشواهد التي تعزز ذلك وتشير إلى الأُلْفَة والفِرَار من الإنسان إلى الطبيعة ما جَسَّدَهُ الشاعر الطهطاوي في وصفه لخميلته الجميلة التي اعتاد أن يجلس فيها، مستسلمًا لأحلام الحب والشعر، منشدًا لأعذب القصائد الشعرية فيُغَرِّدُ قائلاً(٢) : «من الكامل» :

وَخَمِيلَةٍ(٣) مِنْ سُنْدُسٍ(٤) وَنُضَارَ(٥) ∴ حَفَظَتْ هَوَى قَلْبِي مِنَ الأَقْدَارِ

---

(١) راجع: النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال ص ٣٩٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٦ ، عام ٢٠٠٥م.

(٢) ديوان شقائق النعمان ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٣) الخَمِيْلَةُ: الأرض ذات الشجر تُسَمَّى «خَمِيلَة» إذا كانت سهلة، وقال آخرون : بل الخميلة الروضة التي فيها شجر. جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق/ رمزي منير بعلبكي ٦٢٠/١، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط١ عام ٢٠٠١م.

(٤) السُّنْدُسُ : نوع من الحرير أو الديباج الرقيق. معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار ١١١٩/٢.

(٥) النُّضَارُ بالضم: شجر الأثل. تاج العروس للزبيدي ٤٤١/٢ .

وَزَهَتْ بِفَاتِنَـــةِ الفُـــؤَادِ فَـــأَكْثَرَتْ ∴ شَدْوًا طُيُورُ الرَّوْضَةِ المِعْطَـــارِ
وَتَلَأْلَأَتْ خُضْرُ الغُصُونِ بِنَـــرْجِسٍ ∴ مُتَبَسِّـــمٍ مُتَـــرَنِّحٍ خَطَّـــارِ[1]
وَانْسَابَ فِي أَرْجَائِهَـــا مُتَرَقْـــرِقٌ ∴ كَسَوَاعِدِ الحَسْنَاءِ فِي الأَسْـــتَارِ
يُنْسِي الحَزِيْنَ هُمُومَهُ وَشُـــجُونَهُ ∴ فَهُوَ الـــدَّوَاءُ وَرُقْيَـــةُ الأَحْبَـــارِ
فِي كُلِّ نَاحِيَـــةٍ يَمُـــرُّ تَـــرَى هُنَـــا ∴ وَهُنَاكَ سِـــرَّ الخَـــالِقِ القَهَّـــارِ
مُتَفَتِّحًـــا فِـــي آيَـــةٍ بَيْضَـــاءَ أَوْ ∴ حَمْرَاءَ أَوْ صَـــفْرَاءَ لِلْأَبْصَـــارِ

ففي هذه اللوحة الفنية الرائعة التي تشابكت فيها جميع خطوط الجمال وألوان الطبيعة، يصور لنا الشاعر منظر الخَمِيْلَةِ، وقد تزينت بالسندس الأخضر الزاهـــي، والنرجس الفوَّاح، والأشجار الناضرة، وقد تفتحت فيها الأزهار بمختلـــف ألوانهـــا وأشكالها، وقد انساب الماء العذب في قنواتها وجنباتها، فقد كستها الطبيعة رونقًـــا وبهاءً، وقد تلاحمت كل هذه الصور البديعة؛ لتظهر لنا قدرة الخالق – جلَّ وعلا – وبديع صنعه.

ثم يبين لنا الطهطاوي مدى ارتباطه بهذه الخميلة الجميلة فهي منزله ، وملاذ قلبه في كثير من الأحيان، وهي حِصنه المنيع من غدر بني البشر، وهي بالنسبة له عرش المُلك – مُلك الفن والشعر – فينشد من فوقه أعذب القصائد والألحان، فهـــا هو يقول عنها[2]: «من الكامل» :

هِيَ مَنْزِلِي وَمَلَاذُ قَلْبِي بِالضُّحَا ∴ بَلْ حِصْنُ رُوحِي مِنْ بَنِي الغَـــدَّارِ
شَبَّهْتُهَا بِسَرِيرِ مُلْكٍ قَـــدْ عَلَـــا ∴ وَالْمُلْـــكُ مُلْـــكُ الفَـــنِّ وَالأَشْـــعَارِ

فقد استعار الطهطاوي من الطبيعة صورًا جمالية مركبة؛ ليفصح لنـــا مـــن خلال هذا النسق الإيكولوجي عما يحمله من مشاعر حب وهيام نحو البيئة وإعجاب بمناظرها الفاتنة، وعالمها الفسيح الذي لا تقيده قيود ولا تحده حدود.

---

(١) خَطَّارٌ: ذو اهتزاز شديد . المرجع السابق ١١/١٩٦.

(٢) ديوان شقائق النعمان ص ١٠٤.

وقد تعمق الشاعر في رصد كثير من مظاهر البيئة والطبيعة منذ مطلع القصيدة في إشارة منه للعلاقة القوية بينه وبين الطبيعة وما تحمله هذه العلاقة من أُلْفَةٍ وحميمية انعكست على نتاجه الشعري، من حيث اختيار الألفاظ والصور، حيث يقول(١): «من الكامل»

ذَهَبَ الشِّتَاءُ بِأَسْوَدِ الأَتْرَاحِ(٢) ∴ وَأَتَى الرَّبِيعُ الطَّلْقُ بِالأَفْرَاحِ

لَبِسَتْ لَهُ الدُّنْيَا أَعَزَّ مُفَوَّفٍ ∴ قَدْ زِيْنَ بِالأَزْهَارِ وَالأَوْضَاحِ

وَالسَّهْلُ أَبْدَعَ آيَةً مِنْ سُنْدُسٍ ∴ مُتَضَوِّعٍ مُسْتَمْلَحٍ فَيَّاحِ

وَالنَّجْدُ(٣) قَدْ لَبِسَ الطَّنَافِسَ نَرْجِسًا ∴ وَأَزَاهِرًا قَدْ نُظِّمَتْ بِأَقَاحِ

وَتَغَنَّتِ الْوُرْقُ(٤) الفِصَاحُ بِأَعْذَبِ ∴ الأَلْحَانِ فَوْقَ الأَيْكِ وَالأَدْوَاحِ

مَسْرُورَةٌ خُلَلُ الغُصُونِ وَفَوقَهَا ∴ تَلْهُو وَتَلْعَبُ عَنْ هَوَىً وَمِرَاحِ

تَحْكِي الأَحِبَّةَ فِي نَعِيْمِ هَوَاهُمُ ∴ سَاعَ اللِّقَاءِ وَفِي الدُّجَى المِمْرَاحِ

لقد تعلق الطهطاوي بالطبيعة الفاتنة في مصر، وأخذت من شعره منزلة رفيعة، فها هو يحلق بنا فوق الغصون في فصل الربيع متغنيًا بسحر الطبيعة المفتن، وحبه لهذا المنظر البديع – منظر الأزهار المتفتحة والطيور المحلقة وهي تغرد فوق الأيك – واصفًا ذهاب الشتاء بذهاب الأحزان، وقدوم الربيع بقدوم الأفراح، فهو فصل الجمال الذي تتزين له الدنيا بأجمل ثيابها الجديدة احتفالاً

---

(١) ديوان شقائق النعمان ص ١٧٩ – ١٨٠.

(٢) الأَتْرَاحُ: الأحزان ، قال ابن الأثير: " الترح ضد الفرح وهو الانقطاع والهلاك – أيضًا – ". لسان العرب لابن منظور ٤/٥٣٥.

(٣) النَّجْدُ : والنجد من الأرض قفافها وصلابتها وهو ما ارتفع من الأرض . لسان العرب لابن منظور ٣/٤١٣ .

(٤) الوُرْقُ: جمع ومفرده/ الوَرْقَاءُ: الحمامة. معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار ٣/٢٤٢٧.

بقدومه، وكثيرًا ما كان جمال الطبيعة يستثير مشاعر الشعراء فيصفونها بأجمل الأبيات، ويعزفون لها أعذب وأرق الألحان.

ثم ينتقل بنا الطهطاوي إلى مشهد آخر من مشاهد الطبيعة، وروائعها الخلابة الماثلة أمام عينيه، مصورًا لنا تناغم الطبيعة بكل مكوناتها من رياح، وأشجار، وأزهار، إثر مساء كان يسير فيه برفقة محبوبته يتناجيان، ويتجاذبان أطراف الحديث، فهبت أثناء ذلك عاصفة هوجاء جعلتهما يعدوان، فيصور لنا مشهد تطاير الأشجار من شدة العاصفة ، وكيف تتلاعب العاصفة في خفة بملابس محبوبته وبشعرها، في مشهد يملؤه الحب والحنين والسعادة فينشد قائلاً [١] «من الرمل» :

رُبَّ لَيْلٍ مِنْ لَيَالِي العَاشِقِيْنَا ∴ قَدْ عَرَفْنَا فِيهِ بُعْدَ الكَاشِحِيْنَا[٢]

وَسَرَيْنَا فِيهِ عَدْوًا وَالهَوَى ∴ فَارِسٌ يَمْنَعُ عَنَّا العَاذِلِيْنَا

وَالرِّيَاحُ الهُوجُ تُثْرَى حَوْلَنَا ∴ تُنْذِرُ الأَرْضَ بِغَدْرِ الغَادِرِيْنَا

كَمْ رَأَيْنَا فِيهِ زَهْرًا قَدْ هَوَى ∴ وَشَقِيقًا سَارَ خَلْفَ العَابِرِيْنَا

وَجُمَانًا[٣] رَاحَ يَثْنِي سَاقَهُ ∴ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا لِلذَّاهِبِيْنَا

وَرُءُوسُ النَّخْلِ طَارَتْ فَوْقَنَا ∴ مِثْلَمَا جُزَّتْ رُءُوسُ الكَافِرِيْنَا

وَفُؤَادِي لا فُؤَادٌ مِثْلُهُ ∴ طَوَّقَ الفَاتِنَ حُبًّا وَحَنِيَا

وَبَنَاتُ الرِّيْحِ تَلْهُو نَزَقًا[٤] ∴ بِدِثَارٍ[٥] كَانَ يَحْوِي الصَّائِمِيْنَا

---

(١) ديوان شقائق النعمان ص ١٦٦ –١٦٩ .

(٢) الكَاشِحُ : العدو المبغض ، وسمي العدو كاشحًا لأنه ولاك كشحه وأعرض عنك. تهذيب اللغة لأبي منصور الثعالبي ٥٥/٤.

(٣) الجُمَانُ: اسم جمل. تاج العروس للزبيدي ٣٦٣/٣٤.

(٤) النَّزَقُ : الخفة والطيش في كل أمر. المعجم الوسيط ٩١٤/٢.

(٥) الدِّثَارُ: ثوب يُلْبَسُ فوق ما يلي الجسد من ملابس . معجم اللغة المعاصرة د/ أحمد مختار ٧٢٣/١.

ثم يصف هذه العاصفة بأنها طفلة عابثة فينشد قائلاً [١] « من الرمل» :

لَمْ نَرَ الهَوْجَاءَ إِلَّا طِفْلَةً ∴ غِرَّةً [٢] تَعْبَثُ مِثْلَ العَابِثِيْنَا

وبعد استعراض هذه النماذج من شعر الطهطاوي يُلَاحَظُ أَنَّ الشاعر كان مفتوناً بجمال الطبيعة، يرى أن شِعرها لا ينضب منه معين الإلهام، ويرى في كل سطر من هذا الشعر آية من آيات الجمال عليه أن يترنم بها، ويظهر محاسنها للأجيال القادمة من بعده، ويترجمها للناس حتى يُعجبوا بها كما أُعجب هو، ولقد تعاطف مع مفاتن الطبيعة ومظاهر الحياة الجذابة في إبداع أدبي راقٍ، وموهبة شعرية صافية صادقة، وقريحة وَقَّادة ، وعاطفة مشبوبة بكل مظاهرها ، بل يؤجج ذكرها مشاعره وشاعريته، من حين لآخر، فمرة يناجيها، وثانية يتعاطف مع الزهر فيها، وثالثة يغرد بها، ويغني لها، ويعزف بأوتارها لحن الخلود في شعره العذب الرقراق، لتظل مظاهر الطبيعة وأغانيها مشدودة بالأرض، بل تسمو خالدة في أسماع الزمان، وتصير لحناً يُعْزَفُ، وأغنية محببة إلى نفس عاشقها .

ثانياً: أنسنة الطبيعة :

ظهر مفهوم «أنسنة الطبيعة» كنتيجة طبيعية لعملية العودة إلى الأزمنة السحيقة، وما وُجِدَ فيها من محنة لبني البشر في مواجهة جموح الطبيعة الهادر وظواهرها الغامضة التي تدمره تارة، كالبراكين والأعاصير والزلازل وغيرها من الظواهر، وتؤثر عليه سلبًا تارة أخرى حين تدخل في صميم حاجاته الأساسية فتتوقف حياته عليها مثل الزراعة إذا حَلَّ القحط والصيد، وإذا ما تغير المناخ والأمراض التي تفتك به ولا يعلم لماذا؟ وغيرها كثير.

---

(١) ديوان شقائق النعمان ص ١٦٦ – ١٦٩.

(٢) الغِرَّةُ : الحدثة التي لم تجرب الأمور. المخصص لابن سيده تحقيق خليل إبراهيم جفال ٦٧/١ دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ط١ عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

وإنَّ أنسنة الطبيعة تعني تجريدها من الصفة المادية وإضفاء الصفات البشرية عليها؛ ليسهل التفاعل وتنظيم العلاقة معها، وبالتالي خلق مواءمة بينها وبين الإنسان تصب في مصلحته كحل طبيعي لابد أن يفرضه الواقع المعاش للإنسان البدائي، والأنسنة تعني إنزال غير العاقل من الحيوان أو النبات أو الجماد أو المعاني المجردة منزلة العاقل نطقًا، وصورة، وحركة، أي يغدو غير العاقل إنسانًا أو على صورة إنسان، لذلك جاء مصطلح أنسنة الطبيعة بمعنى تحويل الطبيعة إلى إنسان من خلال إسقاط هذه الصفات الإنسانية فيجعلها تتحرك، وتحس، وتعبر، وتتعاطف(١) .

ويطلق عليها – أيضًا – «ظاهرة الإحيائية»: وهي التي تعني أَنَّ الإنسان البدائي يأنس الطبيعة ويشخصها تشخيصًا حيًا، فيجعلها تتحرك مثل الإنسان خيرًا وشرًا، بمعنى أن يسبغ عليها صفات الإنسان الحية، ويجعلها تتصرف مثل تصرفات الإنسان السلبية والإيجابية(٢) .

فها هو ذا الشاعر عبده إسماعيل الطهطاوي يصور لنا في إحدى قصائده فرحة الكون بمن فيه، بمناسبة تولي عميد الأدب العربي د/ طه حسين وزارة المعارف، فيقول منشدًا(٣) : «من الخفيف» :

سَعِدَتْ سَرْحَةُ(٤) الحِجَا وَالبَيَانِ ∴ بِوَزِيرٍ مِنَ الحِجَا وَالبَيَانِ

مَلَكَ الضَّادَ وَاعْتَلَى ذُرْوَيَتْهَا ∴ يَتِيْمِ(٥) اليَاقُوتِ والمَرْجَانِ

---

(١) ينظر: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، د/ مرشد أحمد ص٧، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، عام ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: النقد البيئي في الأدب والفن، جميل حمداوي ، حسن أعرب ص ١٣، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني ، المغرب ط١ عام ٢٠٢٠م.

(٣) ديوان شقائق النعمان ص ٢٨ – ٢٩ .

(٤) السَرْحُ: شجر عظام طوال. الواحدة سرحة، الوسيط ٤٢٥/١ .

(٥) اليَتِيمُ: الشيء المُفْرَدُ يَعِزُّ نظيره، راجع: تاج العروس للزبيدي٣٤/ ١٣٧ .

يَنْثُرُ الـدُّرَّ فِـي ثَنَايَـا حَـدِيثٍ ∴ مِنْ كَرِيمِ اللُّجَـيْنِ[١] والعِقْيَـانِ[٢]
صَاغَ مِنْهُ الرَّبِيعُ أَزْهَـارَ حُسْـنٍ ∴ فَهُـوَ وَرْدٌ وَسَوْسَـنٌ وَمَعَـانِ
وَفُصُـولٌ وَيَاسَـمِينٌ وَفُـلٌّ ∴ وَضَحُوكُ الحَوْذَانِ[٣] والأُقْحُـوَانِ
فَاكْتَسَى الرَّوْضُ مِنْ رَوَائِعِ طَـهَ ∴ حُلَـلاً مِـنْ بَـدَائِعِ الأَلْـوَانِ
فَوْقَ هَامِ الوُجُودِ يَخْتَـالُ تِيْهًـا ∴ وَفَخَـارًا بِهَـا عَلَـى الأَزْمَـانِ
نَزَلَ الغَرْبَ فَاصْطَفَى مِنْهُ وَشْـيًا ∴ سَاحِرًا مِـنْ شَـقَائِقِ النُّعْمَـانِ[٤]
عَرَبِيُّ الخَيَالِ هَزَّ عَلَى السِّـيْنِ[٥] رُبُوعًـا مِـنْ أَعْجَـمِ الأَوْطَـانِ
فَتَغَنَّى الكُنْكُـرْدُ[٦] وَهُـوَ جَمَـادٌ ∴ وَتَثَنَّتْ فِرْسَايُ[٧] مِنْ سَـحْبَانِ[٨]

---

(١) اللُّجَيْنُ: الفضة، الوسيط ٨١٦/٢ .

(٢) العِقْيَانُ: الذهب، لسان العرب لابن منظور ٢٩٥/٨ .

(٣) الحَوْذَانُ: نَبْتٌ لونه أصفر، لسان العرب لابن منظور٤٨٨/٣.

(٤) شَقَائِقُ النُّعْمَانِ : زهور حمر تشبه شقيقة البرق، أضيفت إلى النعمان بن المنذر لأنه حماها، لسان العرب ٥٨٨/١٢ ، وفي البيت إشارة إلى رسالة الدكتوراه التي نالها الدكتور/ طه حسين من فرنسا.

(٥) السِّينُ: نهر بفرنسا عليه مدينة باريس، رحلة بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي، (المتوفى ٥٦٩هـ) ص٣٦٤، الناشر: المجمع الثقافي، أبـو ظبي، ط١، عام٢٠٠٢م

(٦) الكُنْكُرْد: ميدان ضخم بباريس، لم أعثر عليه في كتب البلدان والأماكن، راجع الـديوان ص ٢٨- ٢٩.

(٧) فِرْسَاي: ضاحية بباريس التي كان يقيم بها ملوك فرنسا منذ حكم لويس الرابع عشر، لم أعثر عليها في كتب البلدان والأماكن، راجع الديوان ص ٢٨- ٢٩.

(٨) سَحْبَان: أحد بلغاء العرب الأقدمين المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفـرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ٢٨٣/٥ الناشر: دار الكتب العلمية، بيـروت ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

وَتَهَادَتْ نَوَاضِرُ الزَّهْـرِ نَشْـوَى ∴ وَسَطَ بُولُونَ[1] فَوْقَ صَدْرٍ وَبَـانِ

وَحَبَتْهُ السُّورْبُونُ[2] لُؤْلُؤَةَ العِلْـمِ نَجِيْبًـا سَـمَا عَلَـى الأَقْـرَانِ

فالناقد البيئي يقرأ المقطع الشعري السابق قراءة كاشفة عن باطن النص بما يتيح للقارئ التعمق في أغوار النص وبواطنه، وهذا يبدو من خلال أنسنة الشاعر الطهطاوي للأشجار، والربيع، والرياض، والأماكن...إلخ وانزياحات الدلالات اللغوية لمفردات، مثل (سعت – صاغ – اكتسى الروض – يختال – تغنَّى – تثنَّتْ – تهادت – حبته.... إلخ) وغيرها من المفردات التي استخدمها الشاعر، حيث جعل الشجر العظيم الكثيف يفرح بالعميد طه حسين وكادت تطير من شدة الفرح، والربيع قد استمع لعميد الأدب العربي في سكينة ووقار، وكذلك الأزهار والنباتات تضحك فرحًا وسرورًا، والروض يطرب، ويمشي متبخترًا فرحًا وفخرًا وتيهًا، وميدان الكنكرد وضاحية فرساي في فرنسا الجميع في طرب وسعادة، ولمَ لا، ود/ طه حسين حاصل على أرفع الدرجات العلمية من جامعة السوربون العريقة .

فقد تجلت في الأبيات السابقة صورة من صور أنسنة الطبيعة وذلك بإسقاط بعض الصفات الإنسانية على غير العاقل.

ثم يتحرك الطهطاوي بنصه الشعري، وتتحرك معه الصورة الحسية للنيل العظيم وهو يبكي على حال البلاد والعباد في يوم العيد فينشد قائلاً[3]:

---

(١) بُولُون: غابة جميلة بباريس يحج إليها العشاق، قصة الحضارة، ول ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م) تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ٦٩/٢٧، دار الجيل، بيروت –لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس عام النشر: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٢) السُّرْبُون : جامعة السربون في فرنسا، معجم المؤلفين، المؤلف: عمر رضا كحالة، ١٧٠/٤ الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، وهي الجامعة التي نال منها معالي الدكتور طه حسين بك إجازة الدكتوراه.

(٣) ديوان شقائق النعمان، ص ٢٢٠.

«من الطويل»:

أَرَى النِّيلَ من زَيْـغِ الكِنَانَـةِ بَاكِيًـا ∴ جَرَى دَمْعُهُ فِي الصَّيفِ[١] وَهُوَ يُدَافِعُ

وَقَدْ أَغْرَقَ الأَرْيَـافَ وَهُـوَ حَيَاتُهَـا ∴ وَكَفَّنهـا بِـالطِّينِ وَهُـوَ مَفَـازِعُ[٢]

يَفِرُّ إِليهَـا النَّـاسُ غِـبَّ شِـكَاتِهِمْ ∴ إِذَا القُوتُ قَدْ أَفْنَتْ حِبَاهُ[٣] المَطَـامِعُ

مَرَرْتُ بِهِ فَارْتَـاعَ أَشْـجَعُ خَـافِقِ ∴ رَبِيْبِ نُهَى[٤] قَدْ عَظَّمَتْهُ الأَشَـاجِعُ[٥]

فَقَدْ كَـانَ قُـرْبَ النِّيـلِ أُمٌّ وَطِفْلُهَـا ∴ وَقَدْ لَفَّهَا لَوْنٌ مِنَ الجُـوعِ فَـاقِعُ[٦]

لَقَدْ عَرَفَـتْ غَيْـرَ الثِّيـابِ حَيَاتَهَـا ∴ تُدَثِّرُهَا الأَثْمَـالُ وَهِـيَ شَـوَاجِعُ[٧]

يستهل الشاعر هذه الأبيات السابقة بصورة مؤثرة للنيل حيث صوره بإنسان يبكي حزنًا على أرض الكنانة، فقد فاضت مياهه في فصل الصيف فـأغرق أرض الريف مصدر حياة البلاد من المنتجات الزراعية، فاكتست بالطين مما يبرز مـدى الخراب والدمار الذي حَلَّ بالأرض وحولها إلى مكان موحش مقفر ومفزع، فلقـد كان الناس يلجأون إلى الأرياف ويفرون إليها من أجل العمل وكسب العيش، فمـاذا وقد تبدلت حالها؟! .

ويصور الشاعر نفسه وهو يَمُرُّ بالنيل فيرتجف قلبه خوفًا وحزنًا من هـول المنظر رغم قوته وشجاعته، ثم يستحضر الشاعر صورة الماضي الجميـل حيـث

---

(١) إشارة إلى فيضان النيل.

(٢) المَفْزَعُ: المَلْجَأ: الجمع المفازع، تاج العروس للزبيدي، ٤٩٩/٢١.

(٣) الحِبَاءُ : العطاء، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ٢٧/٤.

(٤) النُّهَى: العقول، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ٣٨٥/٤.

(٥) الأَشَاجِعُ: جمع الأَشْجَعُ وهو الأكثر شجاعة، معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار، ١١٦٧/٢.

(٦) فَاقِعُ: شديد، لسان العرب لابن منظور، ٢٥٥/٨.

(٧) شَوَاجِعُ: عروق ظاهر الكَفِّ، المعجم الوسيط، ٤٧٣/١، ويُقْصَدُ بها عروق الشجر وقد كانت كانت تُتَّخَذُ لنقل المَوتَى.

كان النيل مصدرًا للخير والحياة وكان الناس يعيشون في أمان ورغد من العيش ثم يقارن هذا الماضي المنصرم بالحاضر المؤلم، حيث يلف الجوع النـــاس، ويحـــول حياتهم إلى جحيم، فقد تبدلت أحوالهم وأصبحوا يرتدون الثياب البالية الممزقة رغم شجاعتهم، وكبريائهم، فالأبيات أبرزت مدى الذل والفقر الذي وصل إليه الناس، فقد منح الشاعر النيل صفات إنسانية، لتتجلى البيئة على مستوى الرؤية ، فتمنح القارئ أفقًا واسعًا، ضمن منظور بيئي إيكولوجي معاصر عن مدى التحول فـــي الرؤيـــة الإبداعية من حالة الجمود إلى الحركة .

وقد استعان الشاعر في تصويره البيئي بألفاظ تنم عن الصورة الحزينة الباكية منها: (باكيًا – أغرق الأرياف – كفنها بالطين – أفنت حباه – ارتـــاع – لفهـــا – الجوع فاقع).

فإن هذه الأنسنة البارعة للطير، والنبات، والأرض، والجماد، والمـــاء...إلخ، توحي بوعي الشاعر البيئي الإيكولوجي، وتبرز مكانة البيئة وأهميتها داخل العمـــل الأدبي الإبداعي الفني، فالنقد الأدبي البيئي في حاجة منهجية قابلة للتطبيق في تراث الإنسانية، ولا أغالي إذا قلت إنَّ النقد الأدبي البيئي، ربما يكشف مخبـــوء الـــنص الأدبي بما يعين المتلقي على فهمه، وبما يسهم في انتشار وعي بيئي يـــرى البيئـــة مشكلة تيارات الإبداع والتلقي فالطبيعة ليست شيئًا يكتشفه العقل بـــل مـــا يعملـــه العقل(١).

وبناء على ذلك فإن عملية الأنسنة التي تتم داخل العمل الأدبي تهـــدف إلـــى بيان منزلة الطبيعة عند الشاعر من خلال رؤيتـــه البيئيـــة الإيكولوجيـــة، فـــإن الإيكولوجيا العميقة هي التى تقدم أخلاقًا توضح قيمة البيئة وأهميتها، وتعمل علـــى جذب انتباه المتلقي وتشويقه، فقد أصبح النص الشعري البيئي نصًا أدبيًا جماليًا من

(١) ينظر: أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران ص ٢٠٢ مقال منشور في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، عن المجلس الدولي للغة العربية .

الطراز الأول، لا بد من التوقف أمام أدبيته وشعريته البيئية بمختلف أنواعها من حيث الدراسة والتحليل، للكشف عن التمثيل الطبيعي داخل الأعمال الأدبية.

ثالثاً تطبيع الإنسان :

العلاقة بين الإنسان والطبيعة علاقة قديمة منذ الأزل، فهي علاقة احتواء وانصهار، فيها من التأثير والتأثر ما فيها، فهي ليست علاقة جديدة، حيث إن البيئة في أبسط تعريف لها هي كل ما يحيط بالإنسان، فهي الإطار العام المحيط به والذي يمارس فيه جميع أنشطتة الحياتية، ولذا فقد تنبه الكتَّاب والمبدعون إلى ما يحيط بهم من مكنونات الطبيعة، فعمدوا إلى تضمين كتاباتهم العديد من الرُّؤَى الإبداعية المتعلقة بالبيئة والطبيعة، ومن بين هذه الرُّؤَى ما يُعرف بتطبيع الإنسان، أو بيئته، وفيها يقوم الشاعر بتحويل بطل قصيدته إلى طائر، أو حيوان، أو شجرة، أو صخرة، أو أسد، أو قمر، أوصقر، أو نسر أو أي شيء آخر من مكنونات الطبيعة فى إشارة منه إلى اندماج الإنسان ضمن مفردات البيئة وتطبيعه .

وقد ظهرت هذه الرؤية الإبداعية الإيكولوجية المتعلقة بتطبيع الإنسان وبيئته فى أعمال الشاعر عبده الطهطاوي في كثير من المواضع من أشعاره، ومن بين هذه النماذج ما جاء في قصيدةٍ بعنوان «إسماعيل باشا» إحياءً لذكرى الخديو إسماعيل –رحمه الله– حيث يقول[١] : «من الطويل»

عَظِيمٌ لَهُ سِفْرُ الخُلُودِ كِتَابُ ∴ وَطَوْدٌ لَهُ شُمُّ الجِبَالِ رِكَابُ
وَلَيثٌ لَهُ طَبْعُ اللُّيُوثِ وِرَاثَةٌ ∴ لَكَمْ ضَمَّهُ مِثْلُ الضَّيَارِمِ غَابُ
وَبَدْرٌ لَهُ فِي المُدْلَهِمَّاتِ[٢] ثَاقِبٌ ∴ مِنَ الضَّوءِ لَمْ يَحْجِبْ سَنَاهُ حِجَابُ
أَضَاءَ بِوَادِي النِّيلِ فَانْزَاحَ لَيْلُهُ ∴ وَشَعَّ فَضَاءَتْ بِالسَّنَاءِ رِحَابُ[٣]

(١) ديوان شقائق النعمان، ص ٣٦ .

(٢) المُدْلَهِمَّاتُ: الليالي المظلمة، وهى جمع مفردها مُدْلَهِمَّة. لسان العرب لابن منظور ٢٠٦/١٢.

(٣) رِحَابٌ: واسعة، لسان العرب لابن منظور ٤١٤/١ .

فَكَانَ كَشَمسٍ رَاحَ يَسْـطَعُ ضُـوءُهَا ∴ فَضَاءَتْ بِهِ أَرْضٌ وَضَاءَ عُبَابُ[١]

فالشاعر في الأبيات السابقة يتوجه إلى الخديو إسماعيل بالتعظيم والإكبار، وقد سَطَّرَ التاريخ اسمه في سجل العظماء، فوصفه بالجبل الأَشَمِّ في علوه وشموخه وأنفته وقوته، كما أثبت له الشجاعة التي هي بمثابة الطبع فقد ورثها عن آبائه وأجداده، وكذلك وصفه بالنور الذى أضاء في الظلمات حتى انزاح الليل الأسود البهيم، ولم يحجب هذا النور الفيَّاض حِجاب، فَعَمَّ الضياء في جميع الأرجاء والأنحاء، ولِمَ لا، وهو كالشمس التي سطع ضوءها، فأضاءت اليابس والماء، والأرض والسماء.

ولم يَنس الشاعر المرأة والمحبوبة فى أشعاره، فقد هام بها أشد الهيام فها هو يهيم بمحبوبته فيقول[٢] : «من الطويل»:

عَشِقْتُ مَهَاةً[٣] كَالصَّلاةِ طَهُـورَةً ∴ وَكَالصُّـبْحِ بَسَّـامًا تُـرَى وَتَغِيْـبُ

وَكَالشَّمْسِ مِفْتَانًا وَكَالزَّهْرِ نَاضِرًا ∴ وَكَالطَّيرِ تَشْـدُو بِـالهَوَى وَتُجِيْـبُ

وَكَالفَجْرِ مِمْرَاحًا[٤] عَلَيْهَا غُلَالَةٌ[٥] ∴ مِنَ الحُسْنِ فِيهَا لِلْعَبِيرِ جُيُـوبُ[٦]

---

(١) العُبَابُ: الماء، عباب الماء: أوله ومعظمه. تاج العروس للزبيدي ٣٠١/٣ .

(٢) ديوان شقائق النعمان، ص١٥٣ .

(٣) مَهَاةٌ: المَهَاةُ: البقرة الوحشية . لسان العرب لابن منظور ٥٤١/١٣ .

(٤) مِمْرَاحٌ ومَمْرُوحٌ: أي نشيط، وهو النشاط والخفة. الصحاح تاج اللغة والصحاح للجوهرى تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ٤٠٤/١ ، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط٤ عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٥) غُلَالَةٌ: حجاب، صغير شفاف تضعه النساء على قبعتهن وقد يغطى الوجه. معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار ١٦٣٧/٢.

(٦) جُيُوب: جمع جيب، وجيب القميص طوقه. القاموس المحيط للفيروزآبادى، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ص٧٠، مؤسسة الرسالة للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط٨، عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

وَكَالرَّوْضِ مِطْرَافًا[1] عَلَيْهِ تَحِيَّـةٌ ∴ رَبِيْعِيَّـةٌ قَامَـتْ عَلَيْـهِ تَصُـوبُ[2]

إِنَّ المتتبع لشعر الطهطاوي يجد أنه كان مغرمًا بالمرأة إلى حد بعيد، فمرة يشبهها بالهيفاء، وأخرى بأنها مثل الغزال، بل هي من جنس الغزلان نفسه، وتارة بأنها زهرة فوَّاحة أثناء سيرها في الروض يسيل منها العطر الفَوَّاح، ففي الأبيات السابقة يخلع الشاعر على محبوبته جملة أوصاف من الطبيعة البديعة الساحرة، فيشبهها بالصلاة في طهارتها، وبالصبح المنير في تبسمه، وبالشمس المشرقة في وضاءتها وحسنها وبهائها، وبالزهور في نضارتها وجمالها، وبالطير الذي يُغَرِّدُ أعذب وأجمل الألحان، وبالفجر في نشاطه وخفته، وبالروض في تزينها بأجمل الثياب في فصل الربيع...إلخ.

فمن خلال العرض السابق نلحظ أَنَّ الشاعر لجأ إلى تطبيع الإنسان، ليتوحد الإنسان مع البيئة والطبيعة في نظرة إيكولوجية حين أسقط على البشر صفة من صفات الطبيعة والحياة .

رابعاً: تدمير الطبيعة:

ظهرت الرؤية البيئية «الإيكولوجية» فى شعر عبده إسماعيل الطهطاوي لصور متنوعة، من خلال حديثه عن البيئة، وتوظيفه للمفردات «الإيكولوجية» في إلقاء الضوء على ما لحق بالبيئة من دمار سواء أكان بسبب ويلات الحروب، أو الحرائق، أو غيرها من أنواع الاعتداء المختلفة على الطبيعة ومن بين هذه الروائع ما جاء في قصيدة «إلى زعيم وادي النيل» التى يستصرخ فيها الزعيم «مصطفى باشا النحاس» بعد أن حَلَّ بالبلاد ما حَلَّ من غِبِّ استئثار الأقليات بالحكم فيقول[3] : «من الكامل»:

---

(١) مِطْرَافًا: هي أردية من خز مربعة لها أعلام. الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية للجوهرى ١٣٩٤/٤.

(٢) تَصُوبُ: صَابَتْ تَصُوبُ: وقعت، أو نزلت. لسان العرب لابن منظور ٧٩٦/١.

(٣) ديوان شقائق النعمان، ص٢٢- ٢٣ .

أَقْبِــلْ فَــدَيْتُكَ مَشْــرِقَ الأَنْــوَارِ ∴ فَالنِّيلُ أَظْلَمَ مِــنْ خَنَــا الأَشْــرَارِ
وَدَهَتْ قُلُوبَ الصِّيدِ أَنْكَــرُ غُمَّــةٍ ∴ فِي أَبْلَجِ[1] الأَزْمَــانِ والأَقْطَــارِ
وَتَهَدَّمَتْ أَخْيَاسُ[2] مِصْرَ جَمِيْعُهَــا ∴ وَوَهَــتْ حَفِيظَــةُ أَقْــدَمِ الآثَــارِ
بِالظُّلْمِ حَالَ النِّيــلُ أَحْمَــرَ دَاكِنًــا ∴ وَبَنُوهُ بَاتُوا كَالبِنَــاءِ الهَــارِي[3]
مُتَكَسِّرُونَ تَكَسُّرَ الأَسْرَى هَــوَتْ ∴ بِجُسُــومِهِمْ هِنْدِيَّــةُ الغَــدَّارِ
يَشْكُونَ مِنْ خَوفٍ لِمَا لَحِقَ الكِنَــا نَةَ فِي ظَلَــامِ اللَّيــلِ وَالأَسْــحَارِ
يَخْشَــونَ إِنْ سُــمِعَ الأَنِــيْنُ ∴ تَكَالَبَتْ لِلنَّيلِ مِنْهُمْ ثُلَّةُ[4] الفُجَّارِ
لَمْ يَتْرُكِ الظُّلْــمُ الفَرِيْسَــةَ حُــرَّةً ∴ تَشْكُو ظَلِيْمَتَهَــا إِلَــى القَهَّــارِ!

فالشاعر في الأبيات السابقة يستصرخ زعيم وادي النيل حضــرة صــاحب المقام الرفيع/ مصطفى النحاس باشا، رجل الشعب، ومرسي العدل، ليستغيث به بعد أن حَلَّ بالبلاد ما حَلَّ عَقِبَ استئثار الأقلِّيات بالحُكم، فيصف له حال الــبلاد ومــا وصل إليه الشعب فقد تفشى الظلم، وخيم الظلام، لدرجة أَنَّ النيل أصــبح مظلمًــا معتمًا جراء هذا الظلم والطغيان، وأصاب الهَمُّ والغَمُّ القلوبَ، وتحولت مياه النيــل إلى اللون الأحمر الداكن جراء العدوان عليه دلالة على كثــرة الــدماء والقتلــى، والمصريون قد خارت قواهم وضعفت عزائمهم يخشون على نيلهم وبلادهم.

ومن ذلك تنديده بالاحتلال الصهيوني الغاشم وما يفعله بالبلدان العربية فهــا هو يقول [5] : (من الطويل) :

فَحــرَّقَ بُلْــدَانَ الشَّــآمِ وَأَهْلَهَــا ∴ وَأَبْكَارَهَا البِيْضَ اللِّطَافَ العَوَاطِنَا[6]

---

(١) أَبْلَجُ: مشرق مضيء. لسان العرب لابن منظور ٢/٢١٥ .
(٢) أَخْياس: الخِيس: موضع الأسد والجمع: أَخْياس. المعجم الوسيط ١/٢٦٥.
(٣) الهَارِي: المتهدم . معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار ٣/٢٣٧٣.
(٤) الثُّلَّةُ: الجماعة من الناس. مقاييس اللغة للرازى، تحقيق عبد السلام محمد هارون ١/٣٦٨ ، دار الفكر عام١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .
(٥) ديوان شقائق النعمان، ص١١١ –١١٢.
(٦) العَوَاطِلُ: العاطل من خلا جيبها من القلائد والجمع العاطل، انظــر: لســان العــرب لابــن منظور،١١/٤٥٤.

وَنَكَّـــلَ بِالشَّـــيْخِ المُسِـــنِّ وَطِفْلِـــهِ ∴ وَصَبَّ عَلَى أَرْضِ السَّلامِ النَّوَازِلَـــا
بِرَبِّكَ هَيَّا فَالغَطَارِيفُ[١] قَدْ عَفَتْ [٢] ∴ مَنَـــازِلُهُمْ ظُلْمًـــا وَكَانَـــتْ مَحَافِلًـــا
تَضُمُّ مَجَاوِيْدَ الرِّجَالِ وَمَـــنْ غَـــدَا ∴ جَهَامًا لِمَطْرُودِ النَّعِـــيمِ وَوَابِلَـــا[٣]

فهذا المحتل الصهيوني الغاصب لا يحترم وعدًا ولا يفي بعهد، وقد نظم الشاعر هذه القصيدة عقب الهدنة الأولى المشئومة لحرب فلسطين، ولكن العدو خان العهد فقام بإحراق أرض فلسطين وبلاد الشام، ولم يرحم امرأة، ولا شيخًا مسنًا، ولا طفلًا لم يرتكب جرمًا، وصَبَّ الخرابَ والدمارَ على البلاد وأهلها، فتغير حالهم من قوة إلى ضعف ومن عز إلى ذل فهدمت المنازل التى كانت تضم الكرام المجاويد، وأصبحت أثرًا بعد عين جراء حرق البلاد وتدميرها، وتلك هي طبيعة المحتل الغاشم، فهو لا يأتي إلا بالخراب والدمار.

ثم يتوجه الشاعر إلى دمشق، ويقارن حالها بحال بلاد الأندلس التى ضاعت من أيدي العرب فيقول:[٤] «من البسيط»:

وَالطَّيرُ فِي الغُوْطَةِ [٥]الفَيْحَاءِ مِنْ جَذَلٍ [٦] ∴ قَامَتْ تُغَنِّـــي وَبَـــثُّ الطَّيـــرِ أَلْحَـــانُ
وَأَسْـــفَرَتْ بِزُهُـــورِ الحُسْـــنِ مُجْدِبَـــةٌ ∴ فِيهَا الحَصَى وَبِهَا الأَشْجَارُ عِيْـــدَانُ
وَزُيِّنَـــتْ بِبِـــرُودِ النَّبْـــتِ عَالِيَـــةٌ ∴ مِنَ الصُّخُورِ كَمَـــا تَـــزْدَانُ مِفْتَـــانُ
تَغَيَّـــرَ الحُسْـــنُ وَاهْتَـــزَتْ طُلَيْطِلَـــةُ [٧] ∴ كَأَنَّهَا حَسِبَتْ أَهْلَ الحِمَـــى بَـــانُوا [٨]

(١) الغَطَارِيفُ: جمع الغِطْرِيف وهو السيد الشريف، لسان العرب لابن منظور،٢٦٩/٩.
(٢) عَفَا: دَرَسَ، المعجم الوسيط ٢٧٩/١ .
(٣) الوَابِلُ: المطر الشديد، المخصص لابن سيده ٤٣٢/٢.
(٤) ديوان شقائق النعمان، ص١٩١-١٩٢.
(٥) الغُوْطَةُ: دمشق أو كورتها، معجم البلدان لياقوت الحموي ٢١٩/٤، معجم البلدان المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر بيروت، لبنان،الطبعة: الثانية، عام ١٩٩٥ م .
(٦) الجَذل: الفَرح، المعجم الوسيط ١١٣/١.
(٧) طُلَيْطِلَةُ: مدينة أندلسية، كانت عاصمة إسماعيل ذي النون أحد ملوك الطوائف، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٩/٤ .
(٨) بَانَ: بَعُدَ، المعجم الوسيط ٧٩/١.

ظَنَّتْ سَوَادَ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ حَزَنٍ ∴ سَوَادَ أَنْدَلُسٍ صَاغَتْهُ أَسْبَانُ
خَمِيْلَةُ العُرْبِ قَدْ بَادَتْ[1] أَزَاهِرُهَا ∴ فَهَلْ تُعِيْدُ مُصَابَ العُرْبِ أَزْمَانُ؟!

فالشاعر يبكى دمشق وما حَلَّ بها من خراب، حيث تبدلت أحوالها، فالطير بعدما أن كان فرحًا مغردًا أضحى حزينًا باكيًا، فقد أجدبت الزهور، وجفت ويبست الأشجار وأوراقها، فقد تغير هذا الحسن والبهاء، وحَلَّ بدلاً منه الخراب والدمار، وخيم الحزن و السواد على دمشق وبلاد الشام قاطبة، كما حَلَّ هذا الدمار والخراب ببلاد الأندلس من قبل عندما خرج العرب من بلاد الأندلس مهزومين خاسرين، فالجميلة العربية دمشق، قد هلكت وبادت أزهارها، ولكن يبدو أن الشاعر يراوده أمل بأن يعيد الشعب ماضيهم التليد، ويعودوا إلى ما كانوا عليه مرة أخرى.

فمن خلال العرض السابق يبدو لنا عمق النظرة الإيكولوجية «البيئية» الداخلة عند الشاعر، والتي تمثلت في وصفه الدقيق لما حَلَّ بالبيئة من دمار واعتداء تكدرت بسببه جميع الأجواء، وكذلك حزنه الشديد على جمال الطبيعة، فالبيئة هي كل همه، ومشكلاتها تؤرقه، وخرابها يحزنه ويبكيه، ونلحظ أَنَّ معظم ما حَلَّ بالبيئة من تخريب وتدمير كان الإنسان سببًا مباشرًا فيه، فلقد تعرضت الطبيعة لتدمير بني البشر، بعدما أثيرت الفتن، وقامت الحروب، وسفكت الدماء –دماء الأبرياء الطاهرة– فلطخت سطح الأرض، تلك الحروب التى أسفرت عن الشدة والقحط، فضاقت السُّبُل، وغُلِّقَتْ مسالكها، حتى البحار الواسعة قد طالها هذا الخراب والدمار، فقد صور لنا منظر الأرض بعدما عبثت بها يد الغدر والطغيان فحولتها إلى مشهد ضبابى، حيث أصبحت الأرض حزينة باكية، إشارة إلى ما تخلفه الحروب والاحتلال من آثار الهدم والقتل وتخريب ودمار، مما عكر صفاء جوها، وأغضب الشاعر وأوجع قلبه.

(١) بَادَ: هَلَكَ، لسان العرب لابن منظور ٩٧/٣ .

✍ المبحث الثاني

التشكيل الفني عند عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي

ما طرحناه في المبحث الأول من رؤية الشاعر «الإيكولوجية» البيئية نحو قضايا البيئة والطبيعة، في محاولة لتأصيل مفهوم النقد البيئي كان لا بد أَنْ يَحظى بمؤازرة فنية، تسهم فيها لغة الأدب وجمالياته الفنية في استكمال وظيفته في خلق وعي إيكولوجي بالطبيعة وعناصرها المختلفة، فلا يمكن الفصل بين رؤية الشاعر للبيئة وجماليات العمل الأدبي التي تعمل على تعضيد المنظومة الإيكولوجية في النص، وذلك على أساس أن الأديب أو الشاعر يلجأ إلى إعادة بناء هذا العالم وفق رؤى مختلفة وسياقات فنية جديدة (١).

وهو ما سنتعرض له في هذا المبحث – إن شاء الله تعالى – بالدراسة والتحليل، لتعضيد الدراسة الموضوعية .

وقد تميز شعر عبده إسماعيل الطهطاوي بميزات فنية كثيرة ومتعددة ، فهو يتمتع بقوة لغته، وبساطتها، وجزالة أسلوبه ووضوحه بما يتماشى مع عصر الشاعر، كما أنه يميل إلى العاطفة، ويجنح إليها وهذا ما يظهر في قصائده المتعلقة بالبيئة، وكان الطهطاوي لا يهتم بالمتممات والزخارف الفنية – إلى حد ما – فانساب شعره في سلاسة وعذوبة، لذا نستطيع أن نصف شعره بشعر المعاني والأفكار، لا شعر الزخارف والمحسنات .

وسوف نتناول في هذا المبحث من الدراسة «المعجم اللغوي والصورة الشعرية والموسيقا»عند الشاعر من خلال نظرته للبيئة والطبيعة أو ما يعرف بالنظرة الإيكولوجية.

---

(١) المعنى خارج النص، أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الرشيدي، ص ٨٨، دار نينوى ، دمشق، عام ٢٠١١م.

أولاً: المعجم اللغوي والنقد البيئي:

تعد اللغة الشعرية ملمحًا من أظهر الملامح الفنية التي يتبين من خلالها مدى وعي الشعراء بطرق التعبير الملائمة لأفكارهم كما تمثل اللغة – المذكورة – مجموع الألفاظ التي تتعلق بوسيلة التخاطب والتفاهم بين جماعة من الناس، وهي تعبر عن واقع الفئة الناطقة بها، ونفسيتها، وطبعها، ومناخها الاجتماعي ، والتاريخي [١] ، واللغة في حد ذاتها عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [٢] ، ولكل فئة من الناس لغة تتخاطب بها، تعبر عن مشاعر أفرادها وانفعالاتهم تجاه المواقف والأحداث، ولكل غرض من الأغراض الشعرية ما يتيمز به من ألفاظ وأساليب.

فاللغة هي المادة الأساسية التي يتألف منها النص الشعري، والتي تمثل فكر الشاعر وأسلوبه، وتعبر عما يجول في أعماقه، ولذا يتحتم علينا تحديد دراسة اللغة التي يتم بها كتابة الأعمال الأدبية، للتعرف على قدرة الشاعر وَتَمَيُّزِهِ بين أقرانه.

وقد امتاز أسلوب الطهطاوي بالسهولة والوضوح، وامتازت لغته بالعذوبة والرقة والسلاسة، وتناغمها مع البيئة والطبيعة.

فمن تلك االنماذج التي تجلت فيها الألفاظ الإيكولوجية قول الشاعر[٣] : «من الكامل»:

والآسُ [٤]– يَرْمُقُهُ البَنَفْسَجُ – عَاشِقٌ ∴ مُتَكَبِّرٌ يَهْوَى بِغَيرِ جَنَانِ

كَمَلِيْحَةٍ هَيْفَاءَ ظَنَّتْ أَنَّهَا ∴ فِي تِيْهِهَا كِسْرَى عَلَى الإِيْوَانِ

---

(١) ينظر: المعجم الأدبي، د/ جبور عبد النور ص ٢٢٧، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ، عام ١٩٧٩م.

(٢) المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التونجي، الجزء الثاني، ٧٣٧/٢، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢ عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٣) ديوان شقائق النعمان ، ص ٥٠.

(٤) الآسُ : شجرة ورقها عَطِر. لسان العرب لابن منظور ١٩/٦.

وَالمَــاءُ فِــي القَنَــوَاتِ خَمْــرٌ عُتِّقَــتْ ∴ وَالسَّرْوُ [١] حَارِسُهَا مِنَ العُــدْوَانِ
يَزْهُو النَّخِيلُ بِسَاقِهِ المَمْشُوق وَالتَّـــــ ∴ ـــــاجُ الَّذِي يَعْلُو عَلَــى التِّيْجَــانِ
خُضْــرُ الجَــوَاهِرِ فِيــهِ لا يَتْرُكْنَــهُ ∴ يَسْمُو بِغَيْرِ فَرَائِــدٍ [٢] وَجُمَــانِ [٣]
مِنْ مُزْنِ غَادِيَةٍ [٤] تَهَادَتْ فِــي جَــوَى ∴ دَمَعَتْ مَآقِيْهَا [٥] عَلَــى الأَغْصَــانِ
وَكَأَنَّمَــا فَــوَّارَةُ المَــاءِ اشْــتَكَتْ ∴ فَعَدَتْ عَلَــى الأَزْهَــارِ وَالشُّــطْآنِ
بِقَنَابِــلٍ مِــنْ لُؤْلُــؤٍ قَــدْ كُــوِّرَتْ ∴ حَفِظَتْ شِكَاةَ مُدِيْمَــةِ الهَمَــلانِ [٦]

فقد احتوت الأبيات السابقة على العديد من الألفاظ الإيكولوجية العذبة الرقراقة التي تشير عبر دلالاتها وانزياحاتها اللغوية إلى المجاز في علاقة تبادل بين الشاعر والبيئة، حتى يصلا معًا إلى لحظة التوحد، فمن خلال الأنسنة لــبعض مكنونــات الطبيعة استعان الشاعر ببعض الألفاظ التي تتلاءم مع البوحة الإيكولوجية منها على سبيل المثال: (الآس – البنفسج – جنان – مليحة – هيفاء – المــاء – القنــوات – يزهو – التاج – خضر – جمان – المزن – غاديــة – الأغصــان – الأزهــار – الشطآن – لؤلؤ) فهذه الألفاظ الرقيقة العذبة تعكس روعة المنظر، وتبرز عواطف الشاعر الجياشة تجاه البيئة، والطهطاوي كان يتخير ألفاظه حسب المعاني، فإن لكل كلمة في القصيدة موضعها الصحيح الذي تقوم فيه بدورها، ووظيفتها، وفي ذلــك

(١) السَّرْوُ: شجر، الواحدة سروة. الصحاح للجوهري ٢٣٧٥/٦.
(٢) فَرَائِدُ الدُّرِّ: كبارها. مختار الصحاح للرازي ، ص ٢٣٦.
(٣) الجُمَانُ: هنوات تتخذ على أشكال اللؤلؤ من فضة ، واحدته جمانة. لسان العرب لابن منظور ٩٢/١٣.
(٤) الغَادِيَةُ: السحابة تنشأ فتمطر غدوة. لسان العرب لابن منظور ١١٨/١٥.
(٥) مَآقِيهَا: مآق العين : مجري الدمع من العين، أو مقدمتها أو مؤخرهــا. القــاموس المحــيط للفيروزآبادي ص ٩٢٢.
(٦) الهَمَلان: السَّيَلان، وفي الدمع الهملان، وهو أن يسيل من نواحي العين كلها. المخصص لابن سيده ١١٥/١.

يقول ابن الأثير: «فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد، والتخويف وأشباه ذلك، أما الرقيق منها فيستعمل في وصف الأشواق، وذكر الأيام البعاد، وفي استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك» (١) .

ومن هذه النماذج التي جاءت فيها الألفاظ مناسبة للمعنى – وهي كثيرة – قوله (٢): «من الكامل»:

خَلَعَتْ ذُكَاءُ(٣) عَلَى الحَدِيقَةِ لَوْنَهَا ∴ فَبَدَتْ نَسِيْجًا أَخْضَرَ العِقْيَانِ(٤)

وَالأَقْحُوَانُ بِهَا نُجُومًا أَشْرَقَتْ ∴ كَالدُّرِ زَانَتْ قُبَّةَ الأَكْوَانِ

مَرَّ النَّسِيمُ بِهِ فَدَاعَبَ خَدَّهُ ∴ كَصَبِيَّةٍ تَغْدُو عَلَى الصِّبْيَانِ

فِي رِقَّةٍ مَحْبُوبَةٍ مَوْمُوقَةٍ(٥) ∴ حَسُنَتْ مِنَ الفَتَيَاتِ لِلفِتْيَانِ

فيقف الشاعر في الأبيات السابقة مبهورًا ومعجبًا أمام جمال هذا المنظر البديع حيث صور لنا مرور النسيم العليل الذي داعب الأغصان فتمايلت وتراقصت وتطايرت، وكأنها صبية غيداء بارعة الجمال، وتتجلى براعة الشاعر في اختيار الألفاظ الجزلة الواضحة التي تتلاءم مع الدلالات وتنسجم مع الطبيعة ، وتجري إلى الأذهان كما تجري الأمواج في البحار عذبة منسابة لا يوقفها شيء، ومن هذه

---

(١) المَثَلُ السَّائِرُ في أَدَبِ الكَاتِبِ والشَّاعِرِ لابن الأَثِير، تعليق د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة ١٨٥/١، دار نهضة مصر ، الفجالة القاهرة .

(٢) ديوان شقائق النعمان ص ٥٠ – ٥١.

(٣) الذُّكَاءُ: الشمس، الجيم لأبي عمر الشيباني تحقيق إبراهيم الإبياري ص ٢٨٣، راجعه محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٤) العِقْيَانُ: الذَّهَب، الجراثيم لأبي محمد بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد جاسم الحميدي، قدم له د/ مسعود بوبو ٣٨٥/١، وزارة الثقافة ، دمشق ، سورية.

(٥) مَوْمُوقَةٌ: محبوبة، وقعت فلانًا: أحببته. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق ط/ مهدي المخزومي، و د/ إبراهيم السامرائي ٢٣٣/٥، دار ومكتبة الهلال دون الإشارة لتاريخ ورقم الطبعة .

الألفاظ «خلعت – ذكاء – أخضر – العقيان – نجومًا أشرقت – كالدر – مر النسيم – صبية تغدو – رقة – محبوبة – حسنت – من الفتيات للفتيان».

فهي في مجملها ألفاظ سهلة قريبة إلى الذهن ملائمة للفكرة، فجاءت الألفاظ من المعجم اللغوي الإيكولوجي مناسبة للمعاني وللوصف الدقيق لهذا المنظر البيئي المتعدد الألوان والصور.

ومن هذه الأمثلة – أيضًا – قوله: [١] « من الكامل» :

وَنَـرَى الأَزَاهِـرَ حَوْلَنَـا كَمَلَائِـكٍ ∴ وَيَقَائِقَ النِّسْرِين[٢] كَـالأَرْوَاحِ

وَبَدَا الرَّبِيعُ يَحُوكُ[٣] مِنْ أَرْدَانِـهِ[٤] ∴ فَوْقَ الغُصُونِ تَمِيْمَـةَ التُّفَّـاحِ

إِنَّ الرَّبِيـعَ حَيَاتُنَـا وَمِرَاحُنَـا ∴ فِيه النَّعِـيمُ وَأَعْظَـمُ الأَفْـرَاحِ

كثيرًا ما تغنى الطهطاوي في شعره بحسن الربيع وعبير أزهاره ، وتغريد أطياره فها هو يستمر في عزفه لأروع الألحان، فيصف الزهور من حوله كالملائكة ، والورد الأبيض كالأرواح، ففصل الربيع بالنسبة للشاعر بمثابة الحياة، ففيه النعيم، وفيه تقام الأفراح و يبدو ذلك جليا في ألفاظ مثل : «ترى الأزاهر – حولنا – كملائك – بدا الربيع – يحوك – التفاح – النعيم – الأفراح» .

فمما سبق يتضح لنا مهارة الشاعر في تخير ألفاظه المناسبة للمعاني، والدالة على وعيه البيئي، والمنسجمة مع البيئة والطبيعة في سلاسة وعذوبة.

وبالنظر في المعجم الشعري الإيكولوجي للشاعر/ عبده إسماعيل الطهطاوي نجد أن ألفاظه قد اتسمت بالعديد من السمات الفنية، علمًا بأنَّ هذه السمات الفنية للألفاظ لا تتأتى دلالاتها المقصودة إلا من خلال تمازجها، وانسجامها مع كافة

---

(١) ديوان شقائق النعمان ، ص ١٨٣ – ١٨٥.

(٢) النِّسْرِينُ : ورد أبيض عطري قوي الرائحة،واحدته نسرينة. المعجم الوسيط ٩١٧/٢.

(٣) يَحُوكُ : حاك الثوب يحوكه حوكًا وحياكة : نسجه . لسان العرب لابن منظور ٤١٨/١٠.

(٤) الرَّدْنُ : مقدم كم القميص. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢١/٨، وبالضم : أصل الكم. الصحاح للجوهري ٢١٢١/٥.

عناصر الإبداع الشعري الأخرى، ولقد كان معجمه الشعري الإيكولوجي سهلاً جزلًا لا تعقيد فيه، ولا غرابة، ولا غموض ومرجع ذلك رقة الألفاظ وعذوبتها لِحِسِّ الشاعر نحو الطبيعة وحبه لها، فقد امتاز أسلوبه بالاستقلال الفني، لا يشعرك بالملل أو الرتابة .

وهذا المعجم اللغوي الإيكولوجي يضفي تناغمًا شعريا جذابا مع كل مكونات المنظومة الإيكولوجية لدى المتلقي.

ثانياً : الصورة الشعرية والنقد البيئي :

تُعَدُّ الصورة الشعرية من أكثر الأمور حساسية، وتعقيدًا حيث إنها تُعْتَبَرُ من أهم المقاييس التي يعتمد عليها الناقد عند إصدار الأحكام على الشاعر أو الأديب، ولذا فإنَّ للصورة أهمية بالغة، فهي عنصر لا يُستغنى عنه، ولا يمكن أن يخلو منه العمل الأدبي، فمن خلال الصورة يستطيع الشاعر أن ينقل مشاعره للمتلقي، وأن يبث في قصيدته الحياة والحركة والجمال، فالصورة من الأمور التي يرتكز عليها الشعر فهي الأداة التي يعرض بها الشاعر أفكاره وخواطره للمتلقي.

وتكمن أهمية دراسة الصورة الشعرية والإيكولوجية في الكشف عن مكنونات الشاعر تجاه البيئة، «فإن دراسة الصورة الفنية وتحليل عناصرها وعلاقتها ربما كانت من أفضل الوسائل للكشف عن المعاني الخفية للنصوص الأدبية التي كونتها عقلية أصحابها ورؤيتهم للكون والإنسان والحياة»[١].

فالصورة الشعرية هي أداة الشاعر الفنية التي يعبر بها عن تجربته الشعرية، ويرسم من خلالها مشاهد حياته وواقعه، مستعينًا في ذلك بالألفاظ والأساليب الدالة على فكرته ، لذا فإن «الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدمًا طاقات بالغة وإمكاناتها في

(١) الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق، د/ عبد القادر الرباعي ص ١١٨، دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ عام ١٩٩٧م.

الدلالة ، والتركيب والإيقاع، والحقيقة، والإيجاز، والترادف والتضـــاد، والمقابلـــة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشـــاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صورة شعرية»[١].

ويلاحظ أنَّ الصورة الشعرية في النقد القديم ترتكز على جملة من العناصـــر الرئيسة يأتي في مقدمتها التشبيه والتمثيل والاستعارة ولم يكن الطهطاوي – الشاعر المطبوع – من الشعراء الذين يحتفون بالصورة الشعرية أو يتغنـــون بالزخـــارف البديعية، لكنه كان يوظفها في خدمة المعاني التي كانت تنقاد إليه فتغنيه عن التكلف والتصنع .

ومن الصور الشعرية التي تجلت فيها الرؤية البيئيـــة عنـــد الشـــاعر عبـــده إسماعيل الطهطاوي، ما يصف فيها جمال محبوبته فيقول: [٢] «من الطويل» :

عَشِقْتُ مَهَاةً كَالصَّـــلاةِ طَهُـــورَةً ∴ وَكَالصُّبْحِ بَسَّامًا تُـــرَى وَتَغِيْـــبُ

وَكَالشَّمْسِ مِفْتَانًا وَكَالزَّهْرِ نَاضِرًا ∴ وَكَالطَّيرِ تَشْدُو بِالهَوَى وَتُجِيْـــبُ

وَكَالفَجْرِ مِمْرَاحًا عَلَيْهَـــا غُلَالَـــةٌ ∴ مِنَ الحُسْنِ فِيهَا لِلْعَبِيرِ جُيُـــوبُ

وَكَالرَّوْضِ مِطْرَافًا عَلَيْـــهِ تَحِيَّـــةٌ ∴ رَبِيْعِيَّةٌ قَامَـــتْ عَلَيْـــهِ تَصُـــوبُ

فهي من الصور الرائعة من حيث تصويرها للمحبوبة في عدة صور جزئية معنوية كانت أم حسية، كما يلاحظ في هذه الصورة وضوح المشبه به.

وقد اعتمدت الصورة على «التشبيه المفصل»[٣] ولكنها تنوعت بين الصـــور التشبيهية القديمة كالتشبيه بالشمس والصبح والطير، والفجر وغيرهـــا، والصـــور

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، للدكتور/ عبد القادر القـــط ص ٣٩١ مكتبـــة الشباب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٨٨م.

(٢) ديوان شقائق النعمان ، ص ١٥٣.

(٣) التشبيه المفصل: هو الذي ذكرت فيه الأداة ، ووجه الشبه. انظر: البلاغة العربيـــة أسســـها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حنبكة ١٧٣/٢، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

المبتكرة، وهي تشبيه هذه المحبوبة بالصلاة في طهارتها وعفتها، ومنزلتها، فاستطاع الطهطاوي أن يضع المحبوبة بصورتها الجميلة الفاتنة المشرقة في لوحة فنية متميزة، مزج الشاعر فيها بين القديم والحديث وذلك في صورة حسية مركبة تنم عن إحساس الشاعر بالبيئة واندماجه في مكنوناتها ، مما ساعده على اختيار صورة من عمق الطبيعة مرتبطة بالواقع كما تشير هذه الصورة إلى عدة تركيبات وتشبيهات متناسقة ومترابطة إلى رؤية الشاعر تجاه البيئة ، ووعية بأهميتها.

ومن الصور الرائعة التي اعتمد فيها الطهطاوي على التشبيه تلك اللوحة الفنية التي رسمها لمحبوبته في رثائها، مصورًا من خلالها مشاعره، ووجدانه فأنشد قائلًا[١]: «من الكامل» :

فِي صُورَةٍ تَمَّتْ مَحَاسِنُ رَسْمِهَا ∴ لِلنَّاظِرِينَ قَلِيلَةُ الأَجْنَاسِ

تُضْفِي مَفَاتِنَهَا اللِّطَافَ إِذَا بَدَتْ ∴ نُورًا يَشِعُّ بِحَاشِدِ الإِيْنَاسِ

وَعُيُونُهَا دُعْجٌ[٢] كَأَنَّ سَوَادَهَا ∴ لَيْلٌ حَلُوكٌ صُبْحُهُ كَالْخَاسِ[٣]

وَبَيَاضُهَا فَجْرٌ تَلَأْلَأَ بِالضِّيَاءِ ∴ وَهُدبِهَا كَالأَخْضَرِ المَيَّاسِ

فهذه الصورة الجزئية التي يعتمد فيها الشاعر على التشبيه تبدي مدى انسجامها مع الجانب الشعوري، والنفسي للشاعر، وقد تفرعت في النموذج أنواعًا من التشبيهات ما بين «تشبيه بليغ[٤]، ومرسل» وهي كما ترى صورة حية ناطقة

---

(١) ديوان : شقائق النعمان ، ص ٩٢.

(٢) الدَّعجُ : شدة سواد العين، وشدة بياض بيتضها ، وقيل شدة سوادها مع سعتها. لسان العرب ٢/٢١٧.

(٣) الخَاس : المحبوس، والمخيس : السجن لأنه يخيس فيه المحبوس أي يغل. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق د/ عبد الصبور شاهين وآخرين ص ٤٥ ، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ط١ عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٤) التشبيه البليغ: هو إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف . المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع، البيان ، والمعاني د/ إنعام فوال عكاوي ، مراجعة أحمد شمس العين، ص ٣٢٧ دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، ط٢ عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

أبدعها الشاعر بخياله بعد أن انفعل بجمال محبوبته، كما تلمس – أيضًا – في الأبيات التحامًا بين الألوان في اجتماع سواد العين الحالك مع بياضها المتلألئ، بالإضافة إلى لون أهدابها الخضراء، مما كان له عظيم الأثر في وضوح الصورة وبروزها، فقد استطاع الطهطاوي أن يصور لنا هذا المنظر الجميل في لوحة فنية رائعة مشعة بالألوان، نابضة بالحركة وهي صورة جزئية في قمة الروعة والجمال مع أنها في الحقيقة مؤلمة، بالنسبة للشاعر، فيرسمها وهو يعتصر ألمًا من فراق هذه المحبوبة.

والطبيعة من العوامل التي تثير قريحة الشعراء وتحثهم على الإبداع« فقد قيل لكُثَيِّرٍ : يا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة، فيسهل عليَّ أرصنه، ويسرع إليَّ أحسنه، ويقال- أيضًا – إنه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري، والشرف العالي، والمكان الخالي»(١)

ولقد أكثر الشاعر الطهطاوي من استخدامه للصور المعتمدة على التشبيه ولذلك يقول الإمام عبد القاهر الجُرجاني عن التشبيه : «اعلم أَنَّ مما يزداد به التشبيه دقة وسحرًا أَنْ يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات»(٢) .

ومن الصور التي تجمع بين الحركة والبيئة تلك التي اعتمد فيها الطهطاوي على تكرار التشبيه لمشبه واحد بمشبهات متعددة في لوحات صغيرة ترسم مشهد المشبه به بنوع من التنوع والتكرار حين يمدح الدكتور طه جسين بقوله: (٣) «من الخفيف» :

صَاغَ مِنْهُ الرَّبِيعُ أَزْهَارَ حُسْنٍ ∴ فَهُوَ وَرْدٌ وَسَوْسَنٌ وَمَعَانِ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٠/١ ، دار الحديث، القاهرة ، عام ١٤٢٣هـ.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجُرجَاني ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ص ١٣٤، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) ديوان شقائق النعمان ، ص ٢٨.

وَفُصُــولٌ وَيَاسَــمِينٌ وَفُــلٌّ ∴ وَضَحُوكُ الحَــوْذَانِ وَالأَقْحُــوَانِ

فهي صورة مستمدة من مشاعره، وهي صورة تشبيهية أنيقة تعبر عما تمثله شخصية هذا الأديب الكبير من قيمة كبيرة لدى الشاعر ، ولذا نراه لا يكتفي بتشبيه واحد، يفتأ يكرر وينوع في التشبيه من هنا وهناك، مماشاة لشعوره بالحب المفعم بالإعزاز والإجلال، والعاطفة الجيَّاشَة التي لا تنقطع ، فها هو يقطف له من كل بستان زهرة فهو «الورد، والسوسن، والياسمين، والفل، والحوذان، والأقحوان، وغيرها» في صورة إيكولوجية جميلة ومضيئة .

ولم ينس الشاعر النيل في شعره ، فيصف جماله وعذوبة وصفاء مائه، مستعيناً في ذلك بصورة تشبيهية بليغة، أظهر من خلالها حبه للنيل فأنشد قائلاً [١]: «من الكامل» :

النِّيلُ سَلْسَالٌ[٢] إِذَا أَدْرَكْتَهُ ∴ وَضِفَافُهُ كَالرَّوْضَةِ المِعْطَارِ

فتراه في الشطر الأول من البيت يشبه النيل بالماء العذب الصافي في تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه، ثم يتم الصورة الفنية التشبيهية في الشطر الثاني بتشبيه، شبه فيه ضفاف النيل بالروضة ذات الرائحة العطرة .

ومن أروع ما جاء في شعر الطهطاوي من صور تشخيصية استعارية ما جاء بقوله [٣] : «من الخفيف»:

ضَحِكَ الرَّوْضُ بِابْتِسَامِ ثَنَايَا ∴ ه ضُحَاءً أَوْ بُكْرَةً وَأَصِيلا

لقد شخص الشاعر من الروض إنساناً يضحك، ويظهر ثناياه تبسمًا، في صورة فنية تَنُمُّ عن قدرته الفنية في تطويع ألوان البلاغة لخدمة غرضه، فقد استعان في هذه الصورة بالاستعارة المكنية، وسر جمالها التشخيص والتجسيم .

---

(١) ديوان شقائق النعمان ، ص ٢٦.

(٢) سَلْسَالٌ : سلاسل أعذب صاف ، سهل في الحلق. معجم اللغة العربية المعاصرة ١٠٩٢/٢.

(٣) ديوان شقائق النعمان ، ص ١٢٢.

ومن الصور العذبة الرقيقة التي ذكرها الطهطاوي، على الرغم من إيجازها إلا أنها حوت العديد من الصور والمعاني حين أنشد قائلاً[1] «من الكامل»:

أَمَرَاتِعَ الغِزْلانِ غَيَّرَكِ البِلَى ∴ حَتَى غَدَوتِ مَقَابِرَ الغِزْلانِ

نلاحظ في البيت قوله «مراتع الغزلان» كناية عن وجود مقومات الحياة لهذه الغزلان التي ترعى في ذلك المكان ، وفي آخر البيت يذكر أنها أصبحت مقفرة فيقول: «غدوت مقابر الغزلان» كناية عن عدم وجود حياة ملائمة لترعى هذه الغزلان فقد امتزج في هذا البيت البيان ممثلاً في الكناية عن صفة، وفي البديع في الطباق بين الحالتين مما زاد الصورة جمالاً وإشراقًا وبهاء.

وفي صورة شعرية إيكولوجية مضيئة، يصف فيها الطهطاوي محبوبته فيقول في وصفها[2] : «من الطويل»:

وَلَوّنَ حِبًا كَالسَّحَابَةِ صَافِيًا ∴ يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّ مَا كَانَ مُعْتِمًا

جَمِيلُ المُحَيَّا سَاحِرُ الطَّرْفِ وَجْهُهُ ∴ يَفُوقُ بُدُورًا تَجْعَلُ الكَوْنَ أَنْجُمَا

وَأَعْطَافُهُ مِثْلُ السُّلافِ تَشَعْشَعَتْ ∴ بَدْرَ سَحَابٍ قَدْ عَلا وَتَجَهَّمَا

وَمَتْنَاهُ مَخْطُوطَانِ إِنْ هَزَّ رِدْفَهُ ∴ رَأيتَ فُتُونًا تَتْرُكُ الشَّيخَ مُغْرَمًا

تَرَائِبُهُ مَا أَسْعَدَتْ غَيرَ عَاشِقٍ ∴ رَقِيقَ حَوَاشِي النَّفْسِ بِالحُسْنِ تُيِّمَا

وَلُبَاتُهُ مَا عَانَقَتْ غَيرَ شَاعِرٍ ∴ جَدِيد المَعَانِي بِالجَمِيلِ تَرَنَّمَا

فالطهطاوي هنا يرسم لنا لوحة فنية غزلية جمعت بين الحسي والعفيف، ناقلة إلينا صورة بديعة للعشق والهيام، فقد ظهر فيها تأثر الشاعر بالطبيعة حيث وصف محبوبته بالسحابة الصافية المضيئة، بل وتضيء كل شيء مظلم في تشبيه بديع دقيق، ويستمر في ذكر صفاتها الحسية باستخدام لون آخر من ألوان البيان، وهو الكناية في قوله : «ساحر طرف وجهه» كناية عن الحسن والجمال ، وتكتمل

(١) ديوان شقائق النعمان ، ص ١٤٩.

(٢) ديوان شقائق النعمان ص ٨٤.

الصورة روعة وجمالا حين يمزج بين أعطاف محبوبته ودر السحاب الذي علا وأمطر، فكل العيون مسلطة عليها وناظرة إليها، هذه الفاتنة التي حازت جمالاً لا نظير له، وهو خيال يسمو إلى درجة عظيمة في الانفعال والإعجاب بهذه المحبوبة، وذلك في صورة شعرية إيكولوجية كلية رائعة .

فإن الصورة في الأبيات السابقة تتسم بالبساطة والوضوح، فهي عبارة عن تشبيهات داخلية جزئية تتضامن مع بعضها البعض، لتكوين الصورة الكلية والتي يوضح الشاعر من خلالها كيف تنسجم جميع الكائنات في الكون في تناغم جميل وراق.

وختامًا فإن «الطبيعة بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر هي المصدر الأساس لإمداد الشاعر بمكونات الصورة»[١] .

والطهطاوي يعد واحدًا من الشعراء الذين سحرتهم وفتنتهم الطبيعة بكل مكوناتها.

ثالثاً: الموسيقا والنقد البيئي:

يعد البناء الموسيقي ركنًا مهمًا لفهم النص الشعري، والحكم على جودته، فالمعاني مشتركة بين الشعراء جميعًا كما يقول الجاحظ : «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء،...» [٢] فالموسيقا للشعر بمنزلة الروح للجسد، والألوان للصورة «فلا قيمة للشعر بدونها إذ إن موسيقا الشعر ووزنه يكسبان الشعر الخلود والاستمرار»[٣] وقد تناغمت الموسيقا مع مكونات

---

(١) الصورة والبناء الشعري ، د/محمد حسن عبد الله ص ٣٣، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة عام ١٩٨٤م.

(٢) الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٦٧/٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ط٢، عام ١٤٢٤هـ.

(٣) حرية الأديب ورسالة الناقد، د/ عيد عبد الرحمن قناوي ص ١٠٤، دار الوفاق ، أسيوط عام ٢٠٠٢م.

الطبيعة عند الطهطاوي فكأن قصائده الشعرية لحن تتجاذبه البلابل فوق أغصان الأشجار لتغرد به أعذب الألحان.

والشاعر الماهر المتمكن من أدواته هو من يستطيع أن يتخير لقصيدته ما يناسبها من موسيقا، فإن الموسيقا الحقة هي التي تتلاءم مع التجربة الشعرية وتساير القصيدة وهذا يؤكد العلاقة الوطيدة بين الموسيقا والعملية الإبداعية ، يقول سبنسر: «إن خير الموسيقا ما تتمشى مع الأفكار وتتساوق مع المعاني وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتها مع حالات النفس، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة ، وفي حزنه يكون منخفضًا، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون المسافات الصوتية قصيرة، وأمَّا في بثِّه وألمه فتكون مسافات الصوت طويلة، وهكذا تساير النغمات حالات النفس، كما تساير موضوع القصيدة وفكرتها»(١) .

والشاعر الطهطاوي من الشعراء الذين التزموا الأوزان الخليلية وحافظوا على القوافي دون الخروج عليها، والحديث عن الموسيقا الشعرية باب كبير وواسع، لا نستطيع أن نوفيه حقه في هذه الدراسة الإيكولوجية الدقيقة، وسوف أكتفي بالحديث عن الموسيقا الداخلية المتمثلة في موسيقا الكلمة، والحرف وما يحدثه تناغمهما وحسن تأليفهما من إيقاع موسيقي جذاب يعمل على خدمة الوزن والقافية ؛ لاكتمال اللحن الموسيقي العام.

والموسيقا الداخلية تبدأ : «بالحرف كوحدة صوتية مرورًا باللفظة المفردة حتى تصل إلى الشطر أو البيت الذي يقع في إطار القصيدة ككل وفي ذلك موسيقاها الخارجية من وزن وقافية»(٢) .

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، د/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، ص ١١٣ مطبوعات تهامة للنشر والمكتبات ، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٢، عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، أشرف حسن دعدور ص ٢٠٣ مكتبة نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٤م.

و«الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حيناً، أو بين الكلمات وبعضها البعض حيناً آخر، يساهم بوضوح في البناء الكلي لموسيقا الشعر»[١] ، فإن وراء هذه الموسيقا الظاهرة موسيقا داخلية خفية لا تظهر إلا من خلال حسن اختيار الشاعر لكلماته ودقة ترتيبها ؛ للبعد عن التنافر والغرابة، وبهذه الميزة يتفاضل الشعراء.

والطهطاوي من الشعراء الذين تميزوا بعذوبة ألحانهم، وحسن اختيارهم للألفاظ التي تبعد عن الغرابة والتنافر والصعوبة – إلى حد ما – ومن ذلك قوله[٢] : «من الكامل»:

إِنْ جُزْتَ قَصْرَ النِّيلِ ذَا الأَشْجَانِ ∴ فَقِفِ المطِيَّ بِجَنَّةِ الغِزْلانِ
فَالزَّهْرُ حَوْلَكَ بِالعَبِيرِ تَبَسَّمَتْ ∴ شَفَتَاهُ تَحْتَ خَمَائِلِ المُجَّانِ
وَالنَّرْجِسُ الحُلْوُ الجمِيلُ تَخَضَّلَتْ ∴ وَجَنَاتُهُ مِنْ حَسْرَةِ الوَلْهَانِ
وَالوَرْدُ مِنْ آهَاتِ رَبَّاتِ الحِجَا ∴ لِ بَدَا كَثَغْرِ الغَادَةِ المِفْتَانِ
والْجُلَّنَارُ جُرُوحُهُ قَدْ أَكْثَرَتْ ∴ نَزْفَ الدِّمَاءِ وَأَلْهَبَتْ وِجْدَانِي
وَبَرَاعِمُ الخَطَرِ الصَّغِيرِ حَزِينَةٌ ∴ كَفُؤَادِ شَاكٍ فَاضَ بالأَشْجَانِ
وَيَقَائِقُ النِّسْرِينِ صُبْحٌ مُشْرِقٌ ∴ بَسَمَتْ فَبَدَّدَ حُسْنُهَا أَحْزَانِي

فهذا الانتقاء الدقيق، والاختيار الموفق لكلمات هذه الأبيات يعكس طرب الشاعر بالطبيعة وشدة تعلقه وإحساسه بها، وبأوجه الجمال فيها، فنلحظ من خلال الألفاظ الموحية بجمال الطبيعة الفتَّان ومدى سعادة الشاعر بهذا الجمال كمثل قوله: «جنة الغزلان – الزهر حولك – النرجس الحلو الجميل – الورد – الغادة – المفتان – الجلنار – ألهبت وجداني – النسرين – صبح – مشرق» مما كان له عظيم الأثر

---

(١) قضايا الشعر في النقد العربي د/ إبراهيم عبد الرحمن محمد ص ٣٦ ط دار العودة ، بيروت، لبنان ، ط٢ عام ١٩٨١م.

(٢) ديوان شقائق النعمان ص ٤٩.

في وجدان المتلقي، وتكرار حرفي الراء والنون في تناسق بديع للكلمات المنتقاة تشعر بالموسيقا الداخلية التي امتزجت مع الوزن والقافة وخاصة التصريع في أول القصيدة، وهذه الموسيقا الخفية هي التي تحرك العاطفة وتثير الوجدان وتلهبه.

ومما ساعد في تناغم الوزن مع الطبيعة ، الانسجام بين الحروف، وحسن التأليف بين مفردات النص، مما ساعد على علو الإيقاع ووضوح المعنى، مما يشير إلى انتماء الشاعر إلى المنظومة الإيكولوجية واندماجه ضمن مكوناتها، فقام بتوظيف كل أدواته الموسيقية لخدمة المعنى العام للنص الإيكولوجي، حيث يقول في وصف خميلته الجميلة[1] : «من الكامل»:

وَخَمِيلَةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارَ ∴ حَفَظَتْ هَوَى قَلْبِي مِنَ الأَقْدَارِ

وَزَهَتْ بِفَاتِنَةِ الفُؤَادِ فَأَكْثَرَتْ ∴ شَدْوًا طُيُورُ الرَّوْضَةِ المِعْطَارِ

وَتَلَأْلَأَتْ خُضْرُ الغُصُونِ بِنَرْجِسٍ ∴ مُتَبَسِّمٍ مُتَرَنِّحٍ خَطَّارِ

وَانْسَابَ فِي أَرْجَائِهَا مُتَرَقْرِقٌ ∴ كَسَوَاعِدِ الحَسْنَاءِ فِي الأَسْتَارِ

فقد ساعد التصريع والتشبيه والاستعارة وتكرار حرفي السين والراء على إبراز المعنى وتعميقه بصورة موسيقية تطرب الآذان، فلا يخفى على المتلقي ما لحرف السين والراء من إيقاع موسيقي رنان متميز ، يقوم بدوره مع الوزن والقافية في تشكيل موسيقا النص بأكمله.

ومن النماذج والقصائد التي تجلت فيها قدرة الشاعر الفنية في تطويع موسيقاه للاندماج مع الطبيعة قصيدة «في الربيع» تلك القصيدة التي حَيَّا بها الشاعر قدوم فصل الربيع متغنيًا بحبه له، وبسحر الطبيعة المفتن ومودعًا فصل الشتاء ، وفي ذلك يقول[2] : «من الكامل»:

ذَهَبَ الشِّتَاءُ بِأَسْوَدِ الأَتْرَاحِ ∴ وَأَتَى الرَّبِيعُ الطَّلْقُ بِالأَفْرَاحِ

---

(١) ديوان شقائق النعمان ص ١٠٣.

(٢) ديوان شقائق النعمان ، ص ١٧٩.

لَبِسَتْ لَــهُ الــدُّنْيَا أَعَــزَّ مُفَــوَّفٍ ∴ قَدْ زِيْنَ بِالأَزْهَــارِ وَالأَوْضَــاحِ
وَالسَّهْلُ أَبْدَعَ آيَــةً مِــنْ سُــنْدُسٍ ∴ مُتَضَــوِّعٍ مُسْــتَمْلَحٍ فَيَّــاحِ
وَالنَّجْدُ[1] قَدْ لَبِسَ الطَّنَافِسَ نَرْجِسًا ∴ وَأَزَاهِــرًا قَــدْ نُظِّمَــتْ بِأَقَــاحِ
وَتَغَنَّتِ الْــوُرْقُ الفِصَــاحُ بِأَعْــذَبِ ∴ الأَلْحَانِ فَوْقَ الأَيْــكِ وَالأَدْوَاحِ
مَسْرُورَةٌ خُلَلُ الغُصُــونِ وَفَوقَهَــا ∴ تَلْهُو وَتَلْعَبُ عَنْ هَوَىً وَمِــرَاحِ

فهذا الانتقاء الدقيق للكلمات يعكس طرب الشاعر بالطبيعة وشدة إحساسه بها ، وبأوجه الجمال فيها، فنلحظ ذلك من خلال الألفاظ الموحية بجمال الطبيعة، ومدى سعادة الشاعر بهذا الجمال في مثل قوله : «الأفراح – الأزهار – سندس – نرجس – أزاهر – تَغَنَّتْ – أعذب الألحان» مما كان له عظيم الأثر في نفس المتلقي، ومما زاد من جمال الإيقاع الموسيقي داخل النص البيئي الإيكولوجي.

هذا التناغم العجيب بين النص والطبيعة، بالإضافة إلى توافر العديد من ألوان الموسيقا والنغم، والتي تجلت في ألوان البديع من طباق وجناس وتكرار ومقابلات وتصريع وحسن تقسيم «الترصيع» ... إلخ، مما أكسب النص الإيكولوجي حركــة إيقاعية رنانة أسهمت في استخراج مكنونات النص واستنطاق عناصر الكون، وهدم مركزية الإنسان وسيادته، والتي تُعد من أهم سمات النقد الإيكولوجي بالإضافة إلى وضوح المعنى المراد عن طريق توظيف الموسيقا في خدمة النص .

(١) النَّجْدُ : والنجد من الأرض قفافها وصلابتها وهو ما ارتفع من الأرض . لسان العرب لابــن منظور ٤١٣/٣ .

✍ الخاتمة

الحمد لله المبدع الخالق الوهَّاب، الذي مَنَّ علـى خلقـه بـالعلم والإيمـان، والفصاحة والبيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان سيدنا محمد (ﷺ) أفصـح الناس لساناً وأوضحهم بياناً، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين ... أما بعد :

فقد انتهيت بفضل الله – تعالى– وتوفيقه من إعداد هذه الدراسة والتي حاولت فيها–جاهدًا – أن أستجلي العلاقة بين الشعر والبيئـة مـن خـلال النقـد البيئـي «الإيكولوجي» كما عَمِلَتْ هذه الدراسة على استخراج كل ما يمكن من مهارات فنية للمعجم اللغوي، والصورة الشعرية، والموسيقا، من خـلال النظـرة الإيكولوجيـة الحديثة، وقد تبنَّى هذا البحث مصطلح «النقد البيئي– الإيكولوجي» بُغْيَة الوقـوف على العلاقة بين النص البيئي وقائله.

وقد أسفرت هذه الدراسة عن عدة نتائج من أهمها:

١– نظريات النقد الحديثة تخدم الشعر في كونها أداة ربـط بـين الشـاعر ونتاجه، فهي في منطقة وسطى بين الشعر والنقد الأدبي .

٢– النقد البيئي – الإيكولوجي – منهج جديد في القراءة والتحليل والتقويم لا يمكن تصنيفه بأنه منهج خاطئ، أو صائب ؛ لأن المجال النقدي مجال مرن يتقبـل وجهات النظر المبنية على أساس أو أسس ومناهج علمية مدروسة .

٣– عَمِلَ النقد البيئي في هذه الدراسة على إبراز حضور البيئة ودورها في النتاج الشعري والكشف عن التعالق النصي، وما تخفيه البنية الجمالية مـن وعـي بالبيئة.

٤– تنوعت المظاهر البيئية والطبيعيـة داخـل شـعر «عبـده إسـماعيل الطهطاوي» ما بين الأنسنة والتطبيع، وأُلْفَة البيئة وتدمير لها.

٥– كان للنيل حضور بارز في شعر الطهطاوي، حيث تَغَنَّى به الشاعر في كثير من القصائد، مشيرًا إلى دور النيل وأهميته في التاريخ قديمًا وحديثًا.

٦- إنَّ وجود هذا الكم الهائل من الألفاظ المتعلقة بالبيئة دليل على ثراء المعجم اللغوي عند الشاعر، وخصوبة شعره من الناحية المعجمية.

٧- يُصنَّفُ شعر الطهطاوي بشعر المعاني والأفكار، لا شعر الزخارف والمحسنات البديعية؛ لاهتمامه بالمعنى، وترك الاهتمام بالزخارف والزينة اللفظية .

٨- اتسم شعر «الطهطاوي» بقوة لغته وبساطتها، وجزالة أسلوبه، ووضوحه بما يتماشى مع عصره، فكانت لغته تميل إلى استخدام المفردات البسيطة والواضحة؛ لأن هدفه هو المجتمع بكل فئاته وأطيافه.

٩- اتسمت لغة «الطهطاوي» بتناغمها مع المنظومة البيئية نتيجة اعتناقه لأفكار الاندماج مع الطبيعة وعدم التعالي عليها، والدعوة للاهتمام بها والمحافظة عليها.

١٠- يتسم شعر «الطهطاوي» بالحركة المستمرة والتي تشعر بها من خلال اختياره للألفاظ الإيكولوجية المتجددة، والتي تنعكس على القارئ بالإيجاب فينجذب نحو القراءة أكثر فأكثر.

١١- التزم «الطهطاوي» بالأوزان الخليلية وحافظ على القافية دون الخروج عليها مما أدى إلى امتزاج الموسيقا الداخلية مع الوزن والقافية، وتطويع موسيقاه للاندماج مع الطبيعة .

وختامًا : يمكننا القول : بأَنَّ النقد البيئي – الإيكولوجي – منهج نقدي يهتم بدراسة علاقة الإنسان بالبيئة والمكان؛ وأثر الأرض والطبيعة في الكتابات الأدبية، فقد حفل ديوان «الطهطاوي» بالرؤى الإيكولوجية البيئية المتناسقة والتي ترمز إلى أنسنة البيئة أو تطبيع الإنسان من خلال الأُلْفَة والاندماج معها، وكأنَّ الإنسان والطبيعة مشتركان في الأحداث ذاتها، ويلاقيان المصير نفسه، و«الطهطاوي» يُعد من الشعراء الذين تحملوا هَمَّ البيئة وعملوا من خلال أشعارهم الإيكولوجية على نشر العلاقة البيئية بين الإنسان والطبيعة والدعوة إلى الحفاظ على البيئة وعدم التعدي عليها .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم : جَلَّ من أنزله .

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، للدكتور/ عبد القادر القط ، مكتبة الشباب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٨٨م.
- أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الرشيدي، دار نينوى ، دمشق، عام ٢٠١١م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجُرجَاني ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، عام ٢٠٠٢م .
- أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، د/ مرشد أحمد، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، عام ٢٠٠٣م.
- أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية المعاصرة، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران ، منشور في مجلة المؤتمر الدولى الرابع للغة العربية، دبي عام ٢٠١٥م .
- أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران مقال منشور في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، عن المجلس الدولي للغة العربية .
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حنبكة، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني ، عالم المعرفة، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، أكتوبر عام ١٩٧٩م.
- تاج العروس للزبيدي، تحقيق د/ عبد الصبور شاهين وآخرين، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١ عام ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق د/عبدالصبور شاهين وآخرين، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ط١عام١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، عام ٢٠٠١م.
- الجراثيم لأبي محمد بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد جاسم الحميدي، قدم له د/ مسعود بوبو، وزارة الثقافة ، دمشق ، سورية.
- جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط١ عام ٢٠٠١م.
- الجيم لأبي عمر الشيباني تحقيق إبراهيم الإبياري، راجعه محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- حرية الأديب ورسالة الناقد، د/ عيد عبد الرحمن قناوي، دار الوفاق ، أسيوط عام ٢٠٠٢م.
- الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ط٢، عام ١٤٢٤هـ.
- ديوان شقائق النعمان للشاعر/ عبده إسماعيل الطهطاوي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٥٠م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله الحميري – تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، لبنان، ط٢ عام ١٩٨٠م.
- سلسلة القاهرة عاصمة الحضارة والتاريخ، كتاب حدائق القاهرة خضرة ممتدة، التأليف والنشر لديوان عام محافظة القاهرة، ط١ عام ٢٠٠٨م.
- شعر الدكتور/ عبده إسماعيل الطهطاوي «الرؤية والفن» رسالة ماجستير للباحث / محمد عبد الناصر محمد العنتبلي – كلية اللغه العربية بأسيوط – جامعه الأزهر الشريف عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م .
- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، د/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، مطبوعات تهامة للنشر والمكتبات ، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٢، عام

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة ، عام ١٤٢٣هـ.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لابن سعيد الحميري ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، و دار الفكر دمشق، سوريا، ط١، عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة والصحاح للجوهرى تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط٤ عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق، د/ عبد القادر الرباعي، دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ عام ١٩٩٧م.
- الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، أشرف حسن دعدور، مكتبة نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٤م.
- الصورة والبناء الشعري ، د/محمد حسن عبد الله، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة عام ١٩٨٤م.
- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، لمحمد بن حامد المراغي تحقيق ودراسة د/ أحمد حسين النمكي ، مكتبة الدباح بجرجا، عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق ط/ مهدي المخزومي، و د/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال دون الإشارة لتاريخ ورقم الطبعة .
- القاموس المحيط للفيروزآبادى، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ــ ط٨، عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- قصة الحضارة، وِل ديورَانت ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م) تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت –لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس عام النشر: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- قضايا الشعر في النقد العربي د/ إبراهيم عبد الرحمن محمد، ط دار العودة ، بيروت، لبنان ، ط٢ عام ١٩٨١م.
- لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ، لبنان ط٢ عام ١٤١٤هـ.

- المَثَلُ السَّائِرُ فِي أَدَبِ الكَاتِبِ والشَّاعِرِ لابن الأَثِير، تعليق د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، الفجالة القاهرة .
- مجلة الأزهر، العدد السادس، شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ / شهر مارس ١٩٨٥م، مقال للأستاذ/ السيد حسن قرون، بعنوان «الشاعر عبد إسماعيل الطهطاوي ومواقف نقاد الأدب منه».
- مجلة الأزهر، العدد السادس، شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ / مارس ١٩٨٥م.
- مجلة دعوة الحق المغربية العدد السابع ، السنة الثالثة عشرة، شهر ربيع الآخر ١٣٩٠هـ / يونيو عام ١٩٧٠م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١ عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- المخصص لابن سيده تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ط١ عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، عام ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
- المعجم الأدبي، د/ جبور عبد النور، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ، عام ١٩٧٩م.
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر، والعشرين ، إعداد هيئة المعجم في المؤسسة، حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ط١ عام ٢٠٠٨م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، عام ١٩٩٥ م .
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب ، ط١ / ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.
- المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التونجي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢ عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع، البيان ، والمعاني د/ إنعام فوال عكاوي ، مراجعة أحمد شمس العين، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، ط٢ عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- معجم المؤلفين، المؤلف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- المعجم الوسيط ، تأليف مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- مفهوم الطبيعة في الفكر الإيكولوجي المعاصر، رشيد دحدوح، مجلة فكر ونقد، العدد ٩٤، المغرب، يناير عام ٢٠٠٨م .
- مقاييس اللغة للرازى، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .
- من روائع أوسكار وايلد للدكتور/ عبده إسماعيل الطهطاوي ، مكتبة الخانجي بالقاهر، والمثنى ببغداد عام ١٩٤٩م.
- النباري الإسباني اليهودي، (المتوفى ٥٦٩ه، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، عام٢٠٠٢م.
- النقد الأدبي البيئي: النظرية والتطبيق، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ط١ عام ٢٠١٠م.
- النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٦ ، عام ٢٠٠٥م.
- النقد الإيكولوجي، الدكتور/ مايكل برانش، ترجمة معين رومية، عدد ٣٦ ، النادي الأدبي الثقافي – جدة، عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
- النقد البيئي في الأدب والفن، جميل حمداوي ، حسن أعرب، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، المغرب ط١ عام ٢٠٢٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٠٨٠
٢-	Abstract	١٠٨١
٣-	المقدمة:	١٠٨٢
٤-	التمهيد : النقد البيئي والشاعر	١٠٨٦
٥-	المحور الأول: النقد البيئي المصطلح، والنشأة	١٠٨٨
٦-	المحور الثاني: الشاعر/ الطهطاوي، والبيئة إطلالة موجزة	١٠٩١
٧-	✍ المبحث الأول: الرؤية الموضوعية عند الطهطاوي في ضوء النقد البيئي	١٠٩٧
٨-	✍ المبحث الثاني: التشكيل الفني عند عبده إسماعيل الطهطاوي في ضوء النقد البيئي	١١١٧
٩-	✍ الخاتمة	١١٣٣
١٠-	فهرس المصادر والمراجع	١١٣٥
١١-	فهرس الموضوعات	١١٤٠